بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد الثاني ـ جمادى الثانية ١٤٢٨هـ / تموز (يوليو) ٢٠٠٧م

❖ الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب

❖ تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

فاكس: 9821+ 88321616 هاتف: 3-88321411 9821+

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران – طهران – ص. ب: ٦٩٩٥ -١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني: info@taghrib.ir

الموقع: www.taghrib.ir

ثقافة التقريب

ملحق رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

info@iranarab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢. للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجماً مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنباً لتكرار الأسماء.

٤. ننشر أيضاً مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥ ـ المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضاً إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد الثاني

جبهتان ٤
نداءات القرآن ٧
وقفات عند فكر الإمام الخامنئي ١٠
موانع في طريق التقريب ١٥
كرامة الإنسان في العمل والاعتقاد ٢٣
وحدة المسلمين في مواجهة المادية المعاصرة ٢٩
أسئلة للمصارحة واستقراء المشاكل ٣٧
وظيفة الدين في المجتمع ٤٤
الوعي والبدعة ٥٠
أمة واحدة في ظل تبادل ثقافي ٥٨
المذاهب الإسلامية بين السلب والإيجاب ٦٥
بيان للمسلمين ٧٥
معالم مدرسة الشهيد الصدر ٨٠
التعاون الفكري والثقافي على صعيد الأمة الإسلامية ٩٣
الإصلاح الثقافي، معناه ـ محاوره ٩٩
التعايش الأخوي العربي ـ الإيراني ١٠٥
وثيقة هامّة ١٠٩
عالم الكتب ١١٥
من هنا وهناك ١٢٢
هموم مشتركة ١٣٥

جبهتان

يُراد اليوم للمسلمين أن ينقسموا إلى جبهتين متصارعتين سنّة وشيعة. وليس لهاتين الجبهتين وجود سوى في الإعلام المعادي ولدى الطائفيين من السنة والشيعة. فليس لها وجود لدى التقريبيين.

ومن هم التقريبيون؟

هم الذين يعيشون للأهداف الإسلامية الكبرى التي تجمع المسلمين.. هدف العودة إلى الأمة الشاهدة الوسط، هدف الاتصاف بما أراده الله لهذه الأمة: «خير أمة أخرجت للناس».. هدف التخلّص مما يحيق بالمسلمين من حالة ذلّ وتخلّف وتمزّق وهيمنة واغتصاب.

هؤلاء معيارهم في تقويم الأفراد والجماعات لاينطلق من نظرة الانتماء الطائفي، بل يقوم على أساس الانتماء إلى المشروع الإسلامي الكبير والعمل على تحقيقه. ومشاعرهم لا تتحرك بإثارة طائفية بل بمقدار ما تحقّقه الأمة من انتصارات أو تُمنى به من هزائم في معركة المصير.

إنهم كبار في نظرتهم ولذلك تصغر في أعينهم ما يكبر في عين الطائفيين:

وتكبر في عين الصغير صغارها وتصغر في عين الكبير العظائم

التقريبيون يعلمون الفرق بين جبهتهم وجبهة الطائفيين،

ولـذلك لا يحمّلـون جبهـة التقريـب مـا يرتكبـه الطـائفيون، بـل يعملـون معـاً بمختلـف مـذاهبهم علـى دعـم جبهـة التقريـب، وعلـى تثقيف الأمة لترتفع إلى مستوى الهموم الكبيرة.

التقريبيـون بخـلاف الطـائفيين يعيشـون لتغـيير واقـع الأمـة ويتطلّعـون لمسـتقبل أفضـل لهـا، ولا يسـتلهمون مـن التـاريخ سـوى الصفحات التي تسند مسيرتهم التغييرية الواعدة.

على العكس من ذلك الطائفيون، يكرّسون التفرقة ويرون فيها «عـزّا»! لطـائفتهم، ويبحثـون في التـاريخ عـن الألغـام الـتي تفجّـر النزاع والصراع.

الطـائفيون يتـذرّعون بإثـارات نظـرائهم مـن الجبهـة الأخـرى ليؤجّجـوا الصـراع والنـزاع، ولا يـألون جهـداً في إثـارة المخـاوف والحساسيات والأحقاد في النفوس.

إذن، إذا كان ثمة جبهتان، فليستا جبهة سنة وشيعة، بل جبهة التقريبيين وجبهة الطائفيين.

يبقـى السـؤال عـن الجبهـة «الفـائزة» أهـي جبهـة التقريـب أم الجبهة الطائفية؟

الجبهـة الطائفيـة في واقعنـا الـراهن لهـا مجـالات كبيرة للفـوز، لأنها مسنودة من:

- بُعد الأمة عن أهدافها الكبرى.
- جهل الأمة بحقيقة الإسلام.
- أصحاب المصالح الذين يعيشون على دكاكين الطائفية.

ـ القوى المهيمنة التي تقتضي مصالحها تكريس التجزئة في عالمنا الإسلامي.

وعوامل أخرى تقتضيها غالباً مصالح الحكم الفاسد والسيطرة والارتزاق.

ولكن تبقى جبهة التقريب مسنودة بجذور عميقة قائمة في فطرة الإنسان المتجهة إلى التوحيد والتوحّد. ومن هنا نرى أن جيل الشباب غالباً يبغض الطائفية لأنه أقرب إلى الفطرة.

فإن كان للطائفية جولة، فهي زبد يطفو ويغطّي ولكنه سرعان ما يذهب جفاء، ويبقى نداء الفطرة، ودين الفطرة يوحّد الأمة ويشدّها إلى ما تشترك فيه من آمال وآلام.

دين المسلمين اليوم معرض للخطر بسبب الغزو الثقافي العدواني وإشاعة الفساد والظلم وزلزلة الإيمان والتحلل بين المجتمعات الإسلامية على يد القوى المعادية للإسلام وبمساعدة وسائل إعلامهم. ودنياهم في غمّة بسبب السيطرة الاستكبارية المتزايدة على شؤون البلدان الإسلامية، وبسبب ما يوجهه المستكبرون من ضغط مضاعف وعدوان مضاعف على كل حكومة أو مجموعة تستهدف دفع أفكار الأمة نحو إقامة حاكمية الإسلام بالمعنى الحقيقي، ونحو استقلال الشعوب المسلمة واقتدارها..

الإمام الخميني (رض)

نداءات القرآن

محسن قراءتي *

﴿الحمد لله ربّ العالمين﴾

ـ الربّ: هو المالك والصاحب والمربّي. فالله سبحانه صاحب هذا العالم ومدبّره وهاديه إلى طريق كماله.

ـ الحمد يجمع بين مفهومي المدح والشكر. والإنسان يقف أمام الله مادحاً لجماله وجلاله وكماله، وشاكراً نعمه وأفضاله وألطافه.

ـ الحمد لله: يعني كل الثناء والشكر لله سبحانه، وهذا طبعاً لا يتنافى مع مدح المخلوق وشكره إذا كان ذلك بأمر الله وعلى طريقه ومسيره سبحانه.

ـ ربوبية ربّ العالمين تتجلى في المخلوقات أنه أضفى عليها نعمة الوجود، ثم هداها إلى سبيل كمالها: ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ وهذه الهداية تشمل الجماد والنبات والحيوان والإنسان.

ـ الثناء على الله سبحانه في الحمد يوجّهنا إلى ما في العالم من جمال.

ـ والشكر له سبحانه يذكّرنا بما نحن مغمورون به من نِعَم.

ـ ربوبية ربّ العالمين تُشعرنا بعلاقة الرأفة والعطوفة والاهتمام

---

* ❖ - داعية شعبيّ معروف.

المستمرّ غير المنقطع بالمخلوقات.

ـ و«العالمين» فيه إشارة إلى استيعاب عناية الله سبحانه كلّ المخلوقات في هذا الكون الفسيح.

ـ هداية ربّ العالمين إما أن تكون عن طريق الأنبياء والرسل (وهي الهداية التشريعية)، أو عن طريق الخلقة وطبيعة النشأة (وهي الهداية التكوينية).

ـ الحمدُ لله أولاً (في بداية فاتحة القرآن) وآخراً: ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿الرحمن الرحيم﴾

ـ ذكر «الرحمن» و«الرحيم» قد يراد منه «الرحمن» بكل المخلوقات، و«الرحيم» بالإنسان والموجودات المكلّفة.

ـ شاء الله سبحانه أن يكون رحماناً رحيماً: ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ وشاء أن تتّسع رحمته لجميع الكون: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، وما أرسل رسوله إلاّ ليكون ﴿ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ، وكل ما جاء في الشريعة من أوامر ونواه إنّما هو في إطار هذه الرحمة. ومنهج التوبة في التشريع يأتي ضمن هذا السياق أيضاً، بل حتى عقوبته سبحانه لا تخرج عن دائرة لطفه بالعباد.

ـ اقتران «ربّ العالمين» بـ «الرحمن الرحيم» يعني أن تدبير العالم وهدايته وتربيته مقرونة بالمحبّة والرحمة.

ـ وهذا الاقتران إشعار للإنسان بأن كل عمل تربوي وتعليمي يجب أن يكون مقترناً بالرحمة والعطوفة، نرى هذا الاقتران أيضاً

في قوله سبحانه: ﴿ الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ .

﴿مالك يوم الدين﴾

ـ الله سبحانه مالك كل شيء ملكية حقيقية، وفي «مالك يوم الدين» معنى خاص للمالكية، إذ إنه: ﴿ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ فالأسباب تتقطع: ﴿تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ والأنساب تنعدم: ﴿ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ و﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ﴾ ولا تنفع الأرحام: ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ وليس للإنسان في ذلك اليوم إلاّ مالكه سبحانه.

ـ في «مالك يوم الدين» تذكير للإنسان بأن رسالة السماء فيها التبشير وفيها الإنذار، فإلى جانب ذكر الرحمة يأتي ذكر الجزاء. وهذا نظير قوله سبحانه: ﴿ نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ﴾ وقوله سبحانه: ﴿قَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ والله أرسل نبيه ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وفي التبشير والإنذار يتكامل منهج تربية الإنسان.

ـ التأكيد على مالكية الله سبحانه في أول سورة من القرآن: ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وفي آخر سورة: ﴿ مَلِكِ النَّاسِ﴾ وهذا له دلالة على أهمية استشعار الإنسان بالعبودية التامة لله سبحانه.

ـ ثم إن الاقتران بين الحمد ومالكية يوم الدين توحي بأن يوم القيامة مظهر من مظاهر رحمة رب العالمين.

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي

اتجاه مسيرة البشرية

• ولادة النبي(ص) مرحلة حاسمة في تاريخ البشرية • ولادته تعني نهاية إذلال البشرية •البشر بحادث المولد يجب أن يتحرك في اتجاه الحرية المعنوية والاجتماعية الحقيقية والعقلانية • دور الإنسان هو تسريع المسيرة أو إبطاؤها • الهدف الإلهي ثابت وقطعي، ولكن غير القطعي هو زمن الوصول وهو الجماعة التي تحقق هذا الهدف وهذا يرتبط بإرادتنا

اختلف الآراء بشأن مسيرة البشرية:

ـ هل هي مسيرة تكاملية تصاعدية أم إنها تتجه نحو الانتكاس والارتكاس؟

ـ هل للإنسان دور في هذه المسيرة أم إن المتحكّم في المسيرة هو عوامل خارجة عن إرادة الإنسان؟

ـ و.. أسئلة كثيرة عن السنن وعن تفسير حوادث الكون.

وهذه الأسئلة لها أهميتها الفائقة لمن يفكّر في مصير أمته ومصير البشرية، ولذلك تناولها التغييريون والإحيائيون من وجهات نظر مختلفة.

العبد الصالح السيد علي الخامنئي في بعض أحاديثه رأى أن

حديث القرآن الكريم عن الرسول الأعظم والحوادث التي رافقت ولادة النبي الكريم مؤشرات هامة للجهة التي تسير نحوها البشرية. يقول: (في حديث له بمناسبة المولد النبوي ٣٠ أيار/٢٠٠٢م):

« كانت هذه الولادة بداية مرحلة حاسمة في مصير البشرية. في آيات ولادته المباركة قيل إن شرفات قصر كسرى قد انهدمت، ونيران «آذرگشسب» بعد قرون من الاشتعال قد خمدت، وبحيرة ساوة التي كان ينظر إليها بعض الناس بعين التقديس قد جفّت، والأصنام التي كانت معلقة حول الكعبة قد سقطت. وهذه العلامات لها دلالات رمزية، تدلّ على اتجاه إرادة الله وسننه في إلباس خلعة الوجود لهذا الموجود العظيم والشخصية الفريدة الكبرى.

هذه الحوادث الرمزية تعني أن هذه الولادة المباركة يجب أن تكون نهاية إذلال الإنسان سواء على يد حاكمية الجبابرة والحكام المستبدين، كالذي كان قائماً آنئذ في إيران وروما، أو بسبب عبادة غير الله.

الإنسان يجب أن يتحرر على يد هذا المولود المبارك، يتحرر من الحكّام الظالمين المتحكّمين في رقاب المظلومين على مرّ التاريخ، ومن أغلال الخرافات والمعتقدات المنحرفة المذلّة التي تدفع

بالإنسان إلى الخضوع والذلة والطاعة لموجودات هابطة أو لإنسان آخر».

ويرى السيد أن حديث القرآن عن رسالة خاتم الأنبياء (ص) بعبارة: «ليظهره على الدين كله» فيه إشارة إلى اتجاه حركة البشرية:

« إلى هذا تشير الآية الكريمة: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (الفتح/١٨).. وعبارة ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ لم تتقيد بزمان، فهي تشير إلى الجهة. البشر بهذه الحادثة يجب أن يتحرك في اتجاه الحرية المعنوية والاجتماعية الحقيقية والعقلانية. هذا عمل قد بدأ، واستمراره بيدنا نحن البشر. وهذه سنّة أخرى في عالم الخليقة».

إذن ولادة النبي الخاتم هي بداية حركة تكاملية صاعدة للبشرية تستمر حتى يرث الله الأرض ومَنْ عليها. غير أن هذه الحركة ليست تلقائية خارجة عن إرادة الإنسان، بل هي منبثقة من إرادة البشر.

إذا نهضوا بالواجب فان الحركة التكاملية تتصاعد وإن تهاونوا يقعوا في التيه وفي إطالة الطريق إلى الهدف المنشود. يقول:

«لـو أن البشـر صـعّدوا مـن سـعيهم وهمّـتهم فسيصـلون إلى الأهداف الإلهية المرسومة في المنهج الرباني أسرع. أما إذا لم يفعلوا ذلـك ووهنـوا على هـذا الطريـق فـإنهم سـوف يبقـون فيـه سـنوات طويلـة كتيـه بـني إسـرائيل: ﴿ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ﴾ (المائدة/ ٢٦).

بنـو إسـرائيل هـم ألقـوا بأنفسـهم في التيـه والضلال في الأرض. كـان بإمكـانهم أن يحولـوا دون سـقوطهم في تلـك المحنـة والمـرارة، وكان بإمكانهم تقصير المدّة، كما كان بإمكانهم بسبب ضعفهم أن يطيلوا المدّة. مصيرنا أيضا كذلك، المسلمون أيضاً قد تبيّن لهم وتعيّن اتجاه خلق البشر، وفلسفة إعزام الرسل وإنزال الكتب السماوية. البشر أنفسهم هم القادرون على إطالة هذا الطريق او تقصيره. يستطيعون أن يصلوا هدفهم أسرع أو أبطأ».

فالسنن الإلهية تقضى بأن يكون البشر هم العامل في تسريع المسيرة أو إبطائها، ولكنهم غير قادرين على إيقاف المسيرة، لأنهم إذا تخلّوا عن مسؤولية المواصلة فيستولي ذلك غيرهم:

« في السنن الإلهية إرادة الإنسان هي صاحبة القرار. حين يدعو الإسـلام إلى الجهـاد: ﴿ وَجَاهَـدُواْ فِـي سَـبِيلِ اللّـهِ﴾ (البقـرة/٢١٨) ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ (الحج/ ٧٨) فإنما يدعونا إلى بذل كل ما وسعنا من جهد للوصول أسرع إلى الهدف الإلهي. فالهدف

الإلهي ثابت وقطعي. إن لم نعمل على تحقيقه فسيأتي آخرون ليعملوا به: ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (المائدة/ ٥٤).

لقد جعل الله سبحانه هذا الطريق وهذا الهدف وهذا المصير من الأمور الحتمية القطعيّة، ولكنّ غير القطعي هو عبارة عن زمن الوصول، وهو الناس الذين سيحققون هذا الهدف الكبير. هذا يرتبط بإرادتي وإرادتك».

ويضرب سماحته مثالاً على ما نهض به الشعب الإيراني بقيادة الإمام الخميني (رض)، فنهوضه هو الذي حقق هدفاً كان من الممكن أن يتأخّر عشرات السنين أو ما كان بالإمكان أن يتحقق أصلا لولا ما أبداه من همّة: يقول:

« الشعب الإيراني بقيادة الإمام الكبير استطاعوا بهمّتهم أن يقطعوا خطوة على الطريق وأن يرفعوا هنا راية الإسلام. راية الشريعة المحمدية صلى الله عليه وآله مرفوعة اليوم في هذا البلد. كان من الممكن أن لا يحدث ما حدث، أو أن يحدث بعد عشر سنوات أو مائة سنة.

غير أن الذي حقّق هذه المهمّة الكبرى في هذه الفترة الزمنية بالذات هو إرادة هذا الشعب وعزمه على التضحية وبذل الجهد. وهذه السنة جارية وسارية في كل مكان».

موانع في طريق التقريب

محمد علي التسخيري *

• قوى الهيمنة العالمية تخشى من الوحدة الإسلامية • ثمة حملة منظمة في الغرب لإشاعة الخوف من الإسلام • مصالح الحكام في العالم الإسلامي لعبت دوراً كبيراً في إثارة الخلافات المذهبية• ثمة أمور خمسة يمكن أن يشكل كل منها مانعاً أمام التقريب: المصالح الأجنبية، المصالح الشخصية للحاكم، التكفير، التشكيك في نوايا الآخر، التهويل وعدم الاحترام

أولاً: العامل الخارجي:

من الواضح تماماً أن أعداء هذه الأمة يخلقون كل الظروف التي تؤدي لتمزيق هذه الأمة ويقفون في وجه كل ما يعمل لتوحيدها. وقد لاحظنا أن الاستعمار الغربي خلال فترة احتلاله للعالم الإسلامي، اعتمد سياسة ثلاثية تستهدف:

١ـ إبقاء الأمة على تخلّفها العلمي والاقتصادي والثقافي والتعليمي وغير ذلك.

٢ -إشاعة الحالة العلمانية الغربية لتغطّي على الروح الإسلامية في العالم الإسلامي، ولكن سرعان ما فشل مشروعه مما دعا بعض الكتاب المعاصرين لتسميته بـ«النصر سريع الزوال

---

* - آية الله التسخيري الامين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

للعلمانيــة (١٩٢٠ ــ١٩٧٠)» (شــيرين هــنتر/ مســتقبل الإســلام والغرب/١١١).

٣ - تمزيــق العــالم الإســلامي إلى دول وشــعوب متفرقــة، وتحريــك العنعنــات المذهبيــة الجغرافيــة والقوميــة والعنصــرية وحتى التاريخية. كل ذلك خوفاً من هاجس الوحدة الإسلامية الذي يجري الحديث عنه، والتخويف منه باستمرار من قبل القادة والمفكرين والكتاب الغربيين، ويتم التنظير لصراع دائم مع العالم الإسلامي على أساسه. تقول الكاتبة شيرين هانتر في مقدمة كتابها:

«قامت الرواية التي ألفها جون بوشان، وكان لايزال رائداً في استخبارات الجيش البريطاني عام ١٩١٦، على فرضية قيام ثورة إسلامية، من شأنها، إذا ما اندلعت، أن تقلب مجرى الحرب العالمية الأولى في غير مصلحة القوات الحليفة.

كتب بوشان في روايته العباءة الخضراء The Green Mantle: «الإسلام عقيدة قتالية، إذ لا يزال ذلك الشيخ يقف في المحراب حاملاً القرآن باليد والسيف المشهور في اليد الأخرى. فإذا افترضنا أن هناك أملاً بالخلاص يعيد الروح حتى إلى الفلاحين في المناطق النائية ويدغدغ أحلامهم بالجنة فماذا سيحدث يا صديقي؟ ستفتح جهنم أبوابها في هذه الأرجاء عما قريب. لديّ تقارير من العلماء في كل مكان.. يجمعون في رواياتهم التي يرسلونها إليّ على الأمر نفسه: أن الشرق في انتظار إشارة إلهية».

بعد ذلك بنحو ثلاثة أرباع القرن، عبّر المعلّق السياسي الأميركي، تشارلز كراوثمر، عن مخاوف مماثلة عندما قال: إن الولايات المتحدة تواجه خطرين جيوسياسيين محتملين، يتأتى أحدهما من المنطقة نفسها التي ذكرها جون بوشان في روايته، فهو يتّخذ «شكل عالم إسلامي متّحد تحت راية أصولية على النمط الإيراني تخوض صراعاً وجودياً ضد الغرب الكافر».

وها نحن نشهد دور اليد الأجنبية الممتدة لتحرك النزاعات الطائفية في باكستان والعراق وأفغانستان ولبنان وسائر البلاد التي يتعايش فيها أتباع المذاهب. وربما استخدمت وسائل الإعلام والأقلام والألسنة المأجورة لتحقيق الهدف.

ثانياً: المصالح الشخصية لبعض الزعماء والحكام:

وهو أمر شهدناه في عصور الظلام الماضية، ونشهده اليوم أيضاً حيث يستغل البعض نفوذه ليثير العامة، بل ربما بعض المنتسبين لأهل العلم لتحريك الإحن والنزاعات الطائفية.

يقول أحد الكتاب المؤرخين واصفاً بعض حروب الطوائف بتحريك من السلطات الحاكمة (قصة الطوائف/ فاضل الانصاري/٢٣٣):

«وكانت لا تمر سنة دون عنف بين ما وصف بفرق السنة وفرق الشيعة في سائر أرجاء المنطقة العربية الإسلامية، فقد تولّى الترك بأنفسهم عمليات القمع الطائفي ضد الشيعة... وكان أكثر الضحايا من منطقة (الشاكرية) ببغداد وبنتيجتها هوجم

السجن المركزي وأُحرق أحد الجسرين الواصلين بين جانبي الكرخ والرصافة».

ويستمر في الحديث عن دور حكومات الطوائف في تحريك الفتن في مصر، وعن الاقتتال الطائفي بعد قيام حركة الزنج في سواد جنوب العراق، وامتداد النزاع إلى المدينة المنورة والى طبرستان، وتواصلت إلى شمال أفريقيا وهكذا.

ويكفي أن نذكّر بدور النزاع العثماني الصفوي في خلق الفتن الطائفية الداخلية وإضعاف الأمة الإسلامية مما جرّ بالتالي إلى أن تفقد شوكتها وعزتها أمام التحديات.

ثالثاً: التكفير

وتعدّ هذه الظاهرة من أهم العقبات بوجه التقريب. ورغم أن الإسلام وضح تماماً الحدود الفاصلة بين الكفر والإيمان، وحدّدها بدقّة فإن هذه الحالة الغريبة حدثت بقوة.

فعن عبادة بن الصامت قال رسول الله(ص):

«من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ماكان من العمل».

وفي رواية «أدخله الله من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء» وروى الشيخان والترمذي: «من شهد ان لا اله إلا الله وان محمداً رسول الله حرم الله عليه النار». (في الصحاح، وفي جمع الفوائد).

وروى سماعة عن الإمام الصادق(ع) قوله:

«الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله، به حقنت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس» (الكافي ٢/٢٥).

وربّى القرآن الكريم الرسول الكريم(ص) وأتباعه على التعامل العقلاني والحوار المنطقي والقبول بالتعددية الاجتهادية إذا كانت على أسس شرعية منضبطة.

إلا أن هذه الظاهرة حدثت في ظل ظروف عصيبة في مطلع الأمر كما في قضية الخوارج.

ورغم أن الأمة تجاوزت هذه الحالة وعادت إلى التعامل المنطقي في عصر أئمة المذاهب وقدّم الائمة أروع صور منطقية وربّوا، أتباعهم عليها، ولكن العوامل الكثيرة الأخرى قادت إلى عودتها من جديد.

أعتقد أن أهمّ ما قاد لهذه الظاهرة هو ما يمكن تسميته بمؤاخذة الآخر بلوازم كلامه رغم أن هذا الآخر لا يؤمن بهذه الملازمة مطلقاً.

فقديماً كفّر الخوارج علياً عليه السلام معتقدين أن لازم موقفه من التحكيم كفره والعياذ بالله.

فقد ذكروا أنه شك في نفسه حين قال للحكمَين:

«انظرا فان كان معاوية أحقّ بها فأثبتاه، وان كنت أولى بها فأثبتاني» فإذا هو شك في نفسه ولم يدر أهو أحقّ أم معاوية

فنحن فيه أشد شكاً.

وردّ الإمام عليهم بقوله: «فإنّ ذلك لم يكن شكاً منّي، ولكن أنصفت في القول، قال الله تعالى: "﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ولم يكن ذلك شكاً وقد علم الله أن نبيه على الحق».

وبعد عصر الأئمة برزت هذه الحالة بوتيرة أوسع، وذلك كما لاحظناه في الاختلاف حول «زيادة الصفات على الذات الإلهية» و«التحسين والتقبيح العقليين» حيث رأى الطرفان المتنازعان أن الطرف الآخر يقوده رأيه إلى الكفر، وهكذا نجد هذه الظاهرة في قضايا كثيرة من قبيل «التوسل» و«الشفاعة» و«البداء»، وحتى في مثل «الاستحسان» و«القياس» و«المصالح المرسلة» وغيرها. في حين لو احتكم الجميع إلى الحوار المنطقي لاكتشفوا على الأقل لدى الطرف الآخر ما يبرر له الإيمان بهذه القضية او تلك، وربما اكتشفوا أن النزاع لفظي لا حقيقة له.

وزاد الجهل والتعصب الطين بلّة حيث يدخل في عملية الفتوى من ليس أهلا لها فيفتي بغير ما أنزل الله. وهذا ما شهدناه بكل وضوح في الحركات التكفيرية في عصرنا، مما أدّى إلى سفك الدماء البريئة على نطاق واسع باسم الدفاع عن الدين والأمة، وهما من هذه الحالة براء.

رابعاً: التشكيك في نوايا الداخلين في الحوار

فانه لا يحقّق الجوّ الهادئ المطلوب، ويدفع لنوع من التهرب أو

المماطلة او تلمّس العثرات، مما يمنع من تحقّق النتيجة المطلوبة. وهذا ما شهدنا نظيره في عمليات الحوار بين أتباع الأديان نتيجة ما يحمله كل طرف من تراكمات ذهنية عن الآخر، فالطرف المسيحي مثلا يحمل أحقاده الصليبية وإيحاءات المستشرقين بما يسمونه بـ(الهرطقة الإسلامية) وما يدور في نفسه من هواجس تجاه الصحوة الإسلامية التي تنافس مشروعه في السيطرة، في حين يحمل الطرف الإسلامي سوابق ذهنية كبيرة عن خدمة التبشير المسيحي للاستعمار على مدى قرون.

ولكن العمل الجاد والتوجه للتعليمات الإسلامية الهادية والداعية لحسن الظن في الأخ المسلم يمنع من أن يلعب هذا العامل دوره في المنع من التقريب، خصوصاً إذا تم على مستوى العلماء العاملين الذين خبر بعضهم بعضاً في مجالات العلم والإخلاص والعمل في سبيل الأمة بمجموعها.

خامساً: التهويل والتضخيم واستحضار الماضي والتهجم على المقدسات وعدم احترام الآخر.

وكل واحد من هذه الأمور يمكن أن يشكل بنفسه مانعاً من تحقّق الحوار المطلوب وبالتالي الوصول إلى التقريب، وقد وجدنا النصوص الإسلامية تتظافر في المنع من الأمور:

فقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ يمنع من الحوار في الأجواء الانفعالية المصطنعة.

وقولـه تعـالى: ﴿ قُـل لا تُسْـأَلُونَ عَمَّـا أَجْرَمْنَـا وَلا نُسْـأَلُ عَمَّـا تَعْمَلُونَ﴾ يمنع من الانشغال بالماضي ويفرض احترام الآخر وذلك أيضاً واضح في الآية التي تنهى حتى عن سبّ آلهة المشركين.

سادساً: أضف إلى كل ذلك أن اختلاف مناهج الاستدلال وطرق الاستنباط يمنع من التقارب في النتائج فينبغي السعي إلى ما يأتي:

١. الفراغ من المفروضات المسبقة قبل بدء عملية الحوار.

٢ - الاتفاق على منهج واحد للاستنباط وليس هذا الاتفاق أمراً صعباً.

٣ - تحقيق محل الحوار بدقة لئلا ينظر كل طرف إلى قضية ومفهوم لا ينظر إليه الطرف الآخر.

وهناك موانع أخرى من قبيل:

١. اعتبار القول الشاذ علامة على المذهب كله.

٢ - أخذ تصورات المذهب من أقوال خصومه.

٣ - دخول من ليس أهلا في عملية الحوار.

٤ -اتباع الأساليب الملتوية للظفر بالآخر.

وغير ذلك مما لا يسعنا المجال للتعرض له ولكن يجب حذفه حتى نصل إلى التقريب المطلوب بل الضروري في عالمنا الملتهب.

كرامة الإنسان في العمل والاعتقاد

سيد موسى الصدر *

• مسؤولية الإنسان عن عمله مظهر من مظاهر التكريم • إذا انجرف الإنسان مع غرائزه فسيكون منفعلاً بالعالم لا مؤثراً فيه • من مظاهر تكريم الإنسان في مجال العقيدة أنها متروكه لتفكير الإنسان وقناعته • المشروع الإسلامي للمجتمع يقوم على أساس التناسب مع واقع الإنسان والاعتراف بجميع جوانب وجوده، وهذا بُعد آخر من أبعاد التكريم .

الإسلام في حقل آثار العمل ونتائجه المتنوعة، يعتبر أن العمل هو صيانة للعقيدة بل إنه من آثار العقيدة، وبهذا يؤكد اهتمامه البالغ بالعمل: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُونَ﴾.

وأخيراً فالمسؤولية عن العمل صغيرة وكبيرة تؤكد مقام الإنسان العظيم في عمله، وتثبت تأثير أعماله، حتى الصغيرة منها، في العالم، شعر بهذه التأثيرات أم لم يشعر.

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

---

* - الإمام المغيّب، من محاضراته.

شَرًّا يَرَهُ﴾.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

وهذه المسؤولية، هي ضمانة كبرى لصيانة العمل من الخبائث ومن الحرام، ويؤكد أن هذه المحاولة إنما هي لأجل تكريم الإنسان وتطهيره من الدنس والانحطاط، وفي الآيات القرآنية والسيرة المطهرة، نجد التعبيرعن المحرمات بصورة توضح هذا التفسير: ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

نؤكد بهذه المناسبة، أن الاعتماد على مبدأ الحلال والحرام الذي يتبعه الدين، إنما هو لأجل المحافظة على عدم ذوبان الإنسان وضياعه في العالم المادي المحيط به، فضلاً عن المصالح الثابتة في الواجبات والمحلّلات والمفاسد التي توجد في الحرمات.

فالإنسان إذا حاول أن يلبي حاجات جسده، أو ينجرف مع عواطفه دون تردد، فسوف يكون متأثراً بالعالم لا مؤثراً فيه، ولا يتمكن أن يكون قائداً للكون ولا خليفة لله في الأرض، إذ يصبح منقاداً ذائباً فيها.

أما رعاية الحلال والحرام، فتحتفظ استقلال الإنسان، وتجعله مترفعاً عن الذوبان مصوناً من الضياع، حيث لا يكفي لتلبية الحاجة مجرد الحاجة، بل كونها حلالاً أيضاً.

وهذا المبدأ لا يتجاهل واقع الإنسان وحاجاته، ولا يعتبر مجرد التخلّف عن تلبية الرغبات كمالاً ولا يرى في محاربة النفس وإضعاف الجسد تقوية للروح ورياضة روحية. ولا يجد تناقضاً بين الجسم والروح كما تذهب إليه فرق التصوف وبعض الفرق الأخرى.

ونضيف هنا اهتمام الإسلام بأمر النظافة وجعلها من الإيمان. وهناك مئات الأحاديث واردة في هذا الشأن ومستقاة من التعاليم الإسلامية. والنظافة ركن من كرامة الإنسان.

الرأي والعقيدة:

أ- أما الرأي والعقيدة، فهما ثمرة تفكير الإنسان، ونتيجة الجانب الأشرف من وجوده. فقد أكرمها الإسلام وحاول أن يحافظ على حريتها. فترك أمر التفكير والاجتهاد لمعرفة العقيدة الصحيحة. تركه للإنسان وأعلن أن العقيدة التي لا ترتكز على مبادئ التفكير لا اعتبار لها، ولا يُعذر الإنسان إذا لم يتمكن من الوصول إلى العقيدة الصحيحة بالرغم من التفكير والسعي:

﴿لا إكراه في الدين﴾.

ب - والنية الحسنة اعتُبرت روح العبادة "وإنّ لكل امرئ ما نوى" (حديث شريف) ولكن الإنسان لا يؤاخذ بالنيات والأفكار مهما كانت ما لم يتبعها عمل أو قول. ففي الحديث النبوي الشريف: "إن الله رفع عن أمته تسعة أشياء منها الوسوسة في التفكر في الخلق والحسد ما لم ينطق الإنسان بشفتيه".

ج - ومن أجمل ما يقرره الإسلام تكريماً للإنسان ونشاطاته المتنوعة، هو دراسة الجهد الضائع، فما أكثر الطاقات التي يبذلها الإنسان في سبيل الخير. فيجاهد باذلا ماله ووقته وخدماته ونفسه ولكنه لا يتوصل إلى النتائج المطلوبة لعوارض بدت أو موانع حالت دون وصوله فيسقط في الطريق فينساه التاريخ لسبب ليس هو مسؤولا عنه.

وما أكثر الطاقات التي تُصرف وتحول الأخطاء دون إنتاجها ونجاحها. هذه الجهود الضائعة وغيرها من الإحساسات الداخلية التي تصرف لأجل أداء الرسالة المقدسة دون أن تظهر نتائجها هي محفوظة حسب رأي الإسلام غير مهدورة ولا متنكر لها: ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللّهِ﴾.

"للمصيب أجران وللمخطئ أجر واحد (قاعدة فقهية معروفة).

يتابع الإسلام مساعيه لتكريم الإنسان وصيانته أمام الانحطاط والانحراف. فيقترح إيجاد مجتمع إنساني يتناسب مع واقع الإنسان ويعترف بجميع جوانب وجوده ويهيئ الجو الملائم لنمو مواهبه وتربية كفاءاته.

هذه الملاحظة تبدو ضرورية إذا لاحظنا تأثر الإنسان بمجتمعه وانفعالاته الواضحة في أعماله وأخلاقه وإيمانه بالبيئة التي يعيش فيها.

وحيث إن الهدف من تكون المجتمع هو الإنسان، والعنصر الأساس لإيجاده هو الإنسان أيضا، فلهذا يجب النظر إلى واقع الإنسان والتخطيط على ضوء هذا الواقع.

إن هذا المجتمع لا يكون شخصانياً "انديفيدوياليست" حيث إن هذا النوع من المجتمعات يتنكر لجانب أساسي من وجود الإنسان وهو الجانب الاجتماعي من حياته. ولهذا سرعان ما ينمو الجانب السلبي النابع من النزعات الشريرة المعبر عنه في الاصطلاح بالأنانية والتي يعبر عنها القرآن الكريم بالنفس الأمارة بالسوء. ينمو هذا الجانب في الأفراد حيث لا صيانة ولا تنسيق فتصطدم الأنانيات وتضطرب الحياة الاجتماعية ويتغلب القوي ويُستغل الضعيف، ثم يتحول الضعيف إلى آلة فيفقد المجتمع البشري قسماً من طاقاته. وبعد ذلك يتحول القوي أيضاً إلى آلة لممارسة

الأنانية.

والقوانين التي توضع في هذه الحالة تعكس الحالة القائمة ولا تخدم الحقيقة التي يجب رعايتها صوناً للإنسان، فيستولي الصراعُ الظالم وسيطرةُ القوي على الضعيف وسيطرةُ المصالح الخاصة على الجميع.

وهذا المجتمع لا يمكن أيضا أن يكون اجتماعياً (سوسياليست) إذ إن المجتمع الذي يتكون على هذا الأساس يتجاهل الجانب الآخر من وجود الإنسان، أي الحرية والاستقلال، ويعتبر الفرد جزء من المجموعة نظير الأجزاء الطبيعية، وفي مثل هذه الحالة يقتصر الأمر على رعاية مصالح المجموعة ويخطط لها فقط.

والطابع الذي يأخذه المجتمع في هذا التنظيم ينعكس على الأفراد بصورة عفوية فيفقد الإنسان صورته الأصلية. ولا تنمو مواهبه الطبيعية المتنوعة فيحرم المجتمع من كثير من طاقاته وكفاءات أفراده. ثم تنعكس صورة الأفراد على المجتمع أيضاً طبقاً لقانون تفاعل الأفراد مع المجتمع من كلا الطرفين، فيحصل تناقض دائم في سير المجتمع وتقلّب مستمر غير إيجابي في حياة الإنسان.

وحدة المسلمين
في مواجهة الماوية المعاصرة

*
عبدالرحيم علي ابراهيم

• الفكر أسير القلب فإذا طفت في القلب نوازع الخلاف والشك انصرف الفكر إلى قضايا الخلاف • وإذا مال القلب إلى التوحيد انصرف الفكر إلى مستمسكات الوحدة • العلمانية قسمت الناس إلى مجموعتين: مجموعة لا تعبأ بالدين وأخرى ترى الدين محوراً لحياتها • نتيجة للتأثر بالغرب طفت البراغماتية أو الوصولية على السلوك السياسي • من أهم الأولويات وحدة الأمة على أساس من دينها فوق الوطنيات والعصبيات .

تمهيد: إن حركة التقريب بين المذاهب حركة مباركة، وتدل على صحوة قادمة، أو هي أثر من آثار تلك الصحوة، فقد طال بالمسلمين أمد التفرق والاختلاف حول قضايا كلامية حيناً وعلى مسائل فقهية حيناً آخر، وتنازعاً على قيادة في كثير من الأحيان، ولا يبقى من الخلاف إلا آثار الجراح ولا ينتفع به إلاّ الأعداء.

ولقد كانت نداءات التفاهم والتقريب في تأريخ المسلمين كثيرة يطلقها زعماء الإصلاح وقادة الفكر ويعارضها طائفة من الذين يحرصون أبداً على المحافظة على مألوفهم، ويكرهون أبداً

---

* - الأستاذ الدكتور عبدالرحيم علي ابراهيم، أستاذ جامعي ومفكر سوداني.

الخروج على الأطر ولو كانت قيوداً وآصاراً. ولطالما اعترضوا على دعوات التقارب والحوار بأنها تهاون في عقيدة ومبدأ أو أدّهان لخصم ماكر متربص لا يرضيه إلا أن تكون على مذهبه أو تتبع ملّته، ومثل هذه الحجج والاتجاهات تبقى حبال الاتصال مقطوعة وأسباب التفاهم مبتوتةً.

وربما غاب عن هؤلاء المعترضين أن التقارب إنّما يكون بين بعيدين أو متباعدين، فلو أن الطوائف لا خلاف بينها ولا خصام لما ظهرت حاجة إلى تقريب، ولو لم تشتجر بين المسلمين قضايا عويصة وشكوك مريبة لما عقدت المؤتمرات، ولا توالت التآليف والتفاسير!

والحق أن الأصول المشتركة واضحة وعليها الاعتماد، كما أن دواعي التقارب والوحدة أكثر من أن تحصى، ولكن الفكر أسير للقلب، فإذا طغت في القلب نوازع الخلاف والشك انصرف الفكر إلى قضايا الخلاف، وألحّت عليه دواعي التأمل في القضايا والاستغراق في التعقيدات، حتى إذا مال القلب إلى التوحيد ونزع إلى الأمل في الوحدة والتقارب انصرف الفكر عندئذ إلى مستمسكات الوحدة، ورأت بصيرة المرء أصول المسائل وفروعها وميّزت بين الأقوال التي لا يجوز الوقوف عندها، والأقوال التي لا يفيد النزاع حولها، والأقوال التي تصلح لأخذ ورد وسؤال وجواب،

وانصرفت بعد ذلك إلى الأمور التي تستحق العناية والتي لا تكون بدونها ملة ولا قبلة ولا حقاً ولا باطلاً، والتي إذا أغفلت استوى الكفر والإيمان والجنة والنار.

ومن المهم هنا أن نذكر أن النزعات التي أشرنا إليها آنفاً وان كانت أحياناً ميولا فردية ومزاجاً نفسياً عند بعض الأفراد إلاّ أن الأهم من ذلك أن عصور الانحطاط واليأس تكثر فيها نزعات الجمود ويشتد الميل إلى الشقاق، ويطول فيها وقوف (الفقهاء) عند المسائل، وخوض العوام في الأقاويل حتى أن الوعاظ والخطباء ليترصدون مواطن الخلاف ويبحثون عن حدود دقيقة للطوائف والفرق، يعكفون على بيانها ورسمها كما تعكف الدول اليوم على رسم حدودها، فيقال لك إن قلت كذا فأنت من طائفة كذا وإن رأيت غيره توشك أن تكون من طائفة أخرى غيرها، كأن ما بين الفرق صراط لا يسير فيه إلا حاذق. وقد أظهرت عبر التاريخ أنّ المصلحين وقادة التجديد يجتاحون هذه الحدود كما يغطي السيل الجارف على الرسوم الدوارس، لا يسلمون في ذلك من اتهام وتبديع وتكفير، ولكنها سنة الله في الخلق.

مذاهب العصر: لقد كان لاتصال المسلمين بالحضارة الأوروبية آثار خطيرة، تغلغلت معها فلسفات أوروبا ومقولاتها في عقائد أبناء المسلمين وفي النظم السياسية والاجتماعية، وفي المذاهب

الاقتصادية التي يعتنقونها، ولم يعد ـ بعد هذا الاتصال والتأثّر ـ ثمة من طائل وراء التقسيمات الفكرية والنظرية التاريخية وقد بدت معظم اختلافات المسلمين الأوائل قزمة ومتضائلة أمام الاختلافات العملاقة التي تمخضت عنها مقولات الفلسفة الحديثة.

إن من أبرز الفلسفات اللادينية في الفرق المعاصرة التي اجتاحت العالم الإسلامي هي الفلسفة، التي تجعل ظاهرة الإيمان بالله وبالرسل مسألة اعتقاد شخصي لا يترتب عليها في الواقع الاجتماعي أمر بارز، وبذلك فان المرء لا يسأل عنها ولا يلام فيها، وذلك أنه لا يترتب عليها في كيان الدولة ولا توجيه الحياة الاجتماعية والاقتصادية قليل أو كثير. وكذلك العبادات ما هي ألا طقوس ليس بينها تمايز أو تفاضل، ولا حق فيها ولا باطل فهي محترمة وصحيحة مادام صاحبها يظن أن فيها نفعاً، ويستوي في ذلك ما يتعبّد به المجوسي والمسلم والمسيحي وصاحب اليوقا وأخو الأرواح والنجوم.

ولما فشل هذا المذهب بين المسلمين حصل لدينا ـ كما حصل لأهل الكتاب من قبل ـ طائفة يحملون اسم الإسلام لا يهتمون بشرائعه ولا بنظامه الاجتماعي ولا لولاء فيه ولا براء. فالحلال والحرام في الإسلام شريعة ناسبت زمانها وظاهرة اجتماعية لا

تلائم عصرنا، والولاء الحقيقي في هذا الزمان ولاء حضارة إنسانية عامة، الاعتداد فيها بالوطنيات والقوميات قبل الأديان، والانحياز فيها ما تجاوز الحدود الوطنية القطرية فهو للطبقة الاجتماعية أو المهنية أو لمواثيق إنسانية عامة تنظر إلى الدين بإشفاق أن يفرق وحدتها وينقض غزلها.

هكذا تبدو اللادينية (العلمانية) وكأنها دين جديد يكاد يقسم البشرية إلى طائفتين: طائفة لا تعتد بالدين ولا يمس جوهر حياة الجماعة والفرد عندها مهما حملت من أسمائه أو انتمت إلى حضارته وتراثه، وذلك غاية ما يعنيها منه!! وطائفة أخرى ترى الدين محور حياتها الخاصة والعامة فهي مشغولة بأحكامه ومهمومة بقضايا الأمة مهما فرقت بينها التقسيمات التاريخية أو المذهبية أو القومية.

وتوشك أن تبرز بسبب القضايا العصرية الملحّة خطوط تقسيم موضوعي بحسب المواقف وحدود طوائف جديدة ليست لها في تراثنا أسماء ولا في تاريخ طوائفنا وصف.

ترى لو تساءل جيل من أبناء المسلمين عن القرآن الكريم، هل شرائعه لا تزال نافذة أو استنفدت أغراضها؟ وتساءلوا هل خاطب العرب وحدهم أو هو للعالمين؟ وتساءلوا هل هو وحي إلهي أم عبقرية إنسانية؟ وأجاب العلماء بأن أقوال المسلمين في القرآن أنه

قديم غير مخلوق أو أنه مخلوق. ترى هل أجاب العلماء على السؤال وهل فهم الجهلاء الجواب؟

قضايا العصر: لم يكن مجال العقائد وحده هو الذي تأثر بالفلسفة المادية المعاصرة، بل إن آثار هذه الفلسفة في النظريات السياسية والمذاهب الاقتصادية، وفي مجال السلوك الاجتماعي والأخلاقي كانت أبلغ وأشد نكاية.

في مجال السياسة: لقد طغت نظريات البرغماتية أو الوصولية السياسية على السلوك السياسي وأطلق لها الحبل على الغارب بعد أن قامت على قاعدة فصل الدين عن الدولة، وهكذا سادت فكرة المصلحة على فكر القوميين الوطنيين مجردة عن الغايات البعيدة في مصلحة الأمة بأكملها، وأدت إلى تمزيق وحدة الأمة وإلى تضارب مصالحها، والى انحياز كل دولة منها إلى كتلة سياسية دولية تطلب فيها مصالحها العاجلة، وأدى ذلك إلى أن الأقوياء سخّروا إمكانات الشعوب الإسلامية فضربوا بعضها ببعض، وسخروا أموالها في هدمها، وسلاحها في التخلص من جيوشها، وليس بعجيب في هذه البيئة الوبيئة أن ترى دولاً إسلامية تقتل أبناءها باسم مقاومة الأصوليين والإرهاب، ودولاً تسارع في مصالحة الصهيونية وموادعتها وهي عن مصالحة المسلمين في إدبار وإعراض.

وما هذا الفساد في السلوك إلا نتيجة لازمة لفساد الفكر السياسي وانفصاله عن أصوله الإسلامية.

في مجال الثقافة والمجتمع: اقتحمت المجتمعات الإسلامية أفكار الليبرالية السلوكية مقرونة بشعارات تحرّر المرأة وحقوق الإنسان، وسلم كثير من المسلمين في وجه القيم الغربية السلوكية، وبشروا بالاختلاط ونبذ العفّة، وسخروا من رغبات النساء المسلمات في الحجاب والتستر، وراحت بعض الدول الإسلامية تقاوم غطاء رأس المرأة وتروّج لمذاهب الإغراء والتبذّل ونبذ الحياء. وتطلع علينا بين الفينة والأخرى مؤتمرات عالمية في أجندتها ملامح الدعوة إلى نقض نظام الأسرة وإيجاد البدائل للزواج، وحل المشكلات التي تقف في وجه الإجهاض واستعمال الموانع، وترويج ما يسمى بالثقافة الجنسية.. الخ.

وكل ذلك مستند إلى الفلسفة المادية الإلحادية، لكنه أصبح مذهباً له وزنه في بلاد المسلمين!

في مجال الاقتصاد: انسلخ المسلمون عن قيم الإسلام في الاقتصاد، وسلّموا بأن الربا لا مفرّ منه، واستغنت الدول الإسلامية عن فريضة الزكاة بالمكوس والضرائب وورث المسلمون فكرة الصراع الطبقي ودانت لها طوائف من أبنائهم، وسادت في المعاملات الاقتصادية قوانين التجارة والمعاملات اللادينية منفصلة تماماً عن كل توجيه أخلاقي ديني وبالجملة فقد طمست في هذا الباب

معالم الحلال والحرام وحلّت مكانها مفاهيم وموازين جديدة هي إلى التعبير عن مصالح الطبقات أقرب منها إلى إقامة القسط في المعاملات.

الأسبقيات الجديدة: وفي وجه هذه القضايا الماسّة بحياة الفرد والجماعة تبرز (أجندة) أولويات وأسبقيات في التفكير والاهتمام لا علاقة لها بالأسبقيات أو بالهموم التي أملت على المسلمين انقسامات الماضي وتكتلاته وشعاراته وأفكاره.

من أهم هذه الأسبقيات وحدة الأمة واجتماع كلمتها على أساس من دينها فوق الوطنيات والعصبيات. ومنها قدرتها على مواجهة التحديات المتمثلة في محاولات الإذلال والإخضاع لنظام الغرب وقيمه، والاستلاب الثقافي والحضاري وتسخير موارد الأمة لأهداف أعدائها.

ومنها التحدّي الفكري المتمثل في صياغة نظام اجتماعي ونظام سياسي واقتصادي مؤسّس على قيم الإسلام وشريعته مستوعب لقضايا العصر وتعقيدات المدنية الحديثة.

إن العالم لا يسعه إلا أن يسخر منا إن نحن واجهنا أسئلة اليوم بإجابات كتبها آباؤنا عن أسئلة كانت في زمانهم ولم يعد يسألها أحد. ولا يسع العالم إلا أن يتجاوزنا إذا زعمنا أن عليه أن يغير أجندته فيناقش قضايانا كما نجدها في أبواب كتب الفقه عندنا! أو كتب العقائد أو كتب التاريخ.

أسئلة للمصارحة واستقراء المشاكل

طه جابر العلواني *

• كفانا تكفيراً وتبديعاً وتفسيقاً • كيف نخرج من التبعية للغرب؟ • كيف نتخلص من عقلية التقليد؟ لماذا اندثرت سنة التجديد في الدين؟ • كيف نعيد الجدية الحضارية لأمتنا؟ • كيف نوجد التناسق والتوافق بين الكيانات الاجتماعية الحضارية الإسلامية • كيف نعيد الاجتهاد إلى دوائرنا الفقهية

لابدّ لنا من مصارحة أنفسنا واستقراء مشاكلنا وأزماتنا بصياغة أسئلة نجعلها تلحّ على عقولنا، وتستدعي وتستجيش كل ما لدينا من طاقة للتفكير، وللتأمل والتدبر والحوار المشترك بين فصائل الأمة كافة علّنا نصل – معاً – إلى بعض الإجابات عن هذه الأسئلة:

أولا: أين الخلل في مشروع نهضة هذه الأمة أو مشاريع النهضة التي عرضت منذ بدأت المواجهة بيننا وبين التحدي الغربي، وماهو نوع هذا الخلل؟ كفانا تلاوماً وكفانا مزايدات في سبيل الكسب الحزبي أو الفئوي أو القطري، وكفانا تكفيراً وتبديعاً أو تفسيقاً وتبادل نعوت الرجعية والتقدمية على غير هدى ولنتجه بشكل

* - الدكتور العلواني/ المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

مباشر إلى مشكلاتنا من خلال تلك الأطروحات التي سلخنا ما يزيد عن القرن ونحن نرددها دون أن نحقق شيئاً، ولنحاول أن نبحث – معاً – أعني إسلاميين وغير إسلاميين لتساؤلاتنا عن جواب.

لقد اعتبر الكتاب المنسوبون إلى الفصيل التقدمي – منا – أن بداية عهد النهضة الأخيرة هي احتكاك فرنسا بمصر أثناء الغزو الفرنسي النابليوني (عام ١٧٩٨م) هل هذا صحيح؟ وإذا كان الأمر كذلك فبماذا نصف تراثنا وتاريخنا السابق لهذا الاحتكاك الفرنسي المصريّ؟

ثانياً: هل من الممكن القول بأن المشروع النهضويّ – كلّه – ما بدأ إلا بعد الغزو الفرنسي وأن الأمة المسلمة كانت أمة جاهلة غبية لم تعرف النهضة إلا حين دخل عليها مستعمر غاز فبدأت تتعرض للحضارة. وهل يمثل الاستعمار (الاستكبار) رسالة حضارية، ومتى كان ذلك، وكيف، ومن هو المستعمر الذي مثّل هذا في التراث والتاريخ الإنسانيين عبر القرون؟

هل يمكن أن نعتبر ذلك مجرد تحدّ استفزّ في أمتنا بقايا الحسّ الحضاري؟

ثالثاً: كيف ولماذا ولِمَ لَمْ توفق الأمة في أي جزء من أجزائها أو قطر من أقطارها إلى تحقيق شيء من أهدافها الأساسية كما

حقق اليهود . مثلاً . كيانهم؟

رابعاً: ما أثر مفاهيم الحداثة والتقدم والنهضة وفق النموذج الغربي في الحالة التي نعيشها اليوم؟ وكيف نخرج من حالة التبعية الفكرية والسياسية والاقتصادية والعسكريّة للغرب بعد أن صار من المسلّمات أن العقل المقلّد أو التابع لا يمكن أن يبني حضارة ولا شبهها فالحضارة وقف على الأمم ذات العقول المبدعة المجتهدة البناءة؟

خامساً: كيف نتخلّص من عقلية التقليد؟ وما أثر هذه العقلية في الحالة الراهنة التي نعاني منها وما هو الرابط بين حالة التقليد وحالة التبعية؟! وكيف نتحول إلى حالة الاجتهاد في الفقه، والإبداع في المعرفة والعمل، والشورى في البناء الاجتماعي والسياسي؟

سادساً: نفسية الإنسان المسلم كيف صِيغَت بالشكل الذي هي عليه الآن؟! وما نوع الانحراف والخلل الذي أصاب قراءة هذه الأمة لمصادر هدايتها؟ وكيف يمكن تقويم هذه القراءة من جديد وإعادة صياغة النفسية المسلمة لتجاوز نفسية العبيد إلى نفسية التحرر والانعتاق؟

سابعاً: سنّة التجديد في هذا الدين لماذا اندثرت وحُجّمت وكيف يمكن إحياء هذه السنة ومن أي مدخل وماهي سبل

الحصول على وسائل وآليات التجديد في الأمة؟!

ثامناً: منهجية هذه الأمة ونسقها الثقافي كيف يعاد بناؤهما وتكوينهما لمساعدة هذه الأمة على إعادة تشكيل عقلها وإيجاد قابلية الإبداع والاجتهاد فيها؟

ولعل من أهم الأسئلة أو التحديات التي على المشروع الإسلامي المعاصر خاصة أن يعد الجواب عنها بعد الكارثة.

تاسعاً: ماهي المؤثرات والمقومات التي يمكن تحديدها كعوامل مشتركة يمكن أن تحملنا على التفاعل مع زماننا في مواقعنا المختلفة لنبني مستقبلنا، مستقبل هذه الأمة المسلمة ودورها العالمي؟!

عاشراً: ماهي الدراسات المطلوبة لنصبح قادرين على فهم تلك المؤثرات والمقومات؟ وما مجالاتها؟ وكيف نقوم بها، ومن سينهض لها؟

حادي عشر: ماهي البرامج التربوية والتعليمية التي نحتاجها لإيجاد الإنسان القادر على تمثل ذلك كله، أي تنزيله على الواقع، وما محتواها وكيف نوجده؟!

ثاني عشر: ماهي المؤسسات الثقافية والتربوية والتعليمية التي لابد من إقامتها لتحقيق ذلك الهدف، وما التغيير الذي علينا أن نحدثه في ما هو قائم منها وكيف؟

ثالث عشر: ماهي علاقتنا بالآخر وكيف نميّز بين العداء والتعامل، والانفتاح والانغلاق، والانغلاق والاحتياط، وكيفية الاستفادة من الآخر وحدودها، وفي أي المجالات تكون هذه الاستفادة؟ وكيف نبني شبكة اتصالنا الثقافية والحضارية مع الآخر؟

رابع عشر: كيف نعيد الجدية الحضارية لأمتنا، ونخرجها من إطار الغثائية ونخلّصها من عقلية الوهن وحالة التوقف والجمود؟

خامس عشر: ماهي الرؤية الحضارية الإسلامية التي نريد التقدم بها للأمة، وكيف نردّ الاعتبار لحضارتنا الإسلامية؟ وكيف نحوّلها من حقيقة تاريخية ماضية إلى حقيقة تاريخيّة معاصرة قابلة للتجدّد واستعادة الفاعليّة الحضاريّة للأمة وإعادتها إلى موقع «الشهود الحضاريّ» لتحتل موقعها وتؤدي دورها بوصفها «الأمة المخرجة للناس»؟

سادس عشر: كيف نُعيد فاعلية التعامل إلى منابع الصياغة المعرفيّة والثقافية والحضارية، والتجديد في بنائنا العقيدي والمنهجي والفكري وما هي خططنا وبرامجنا لذلك؟

سابع عشر: كيف نقدّم البدائل والحلول المناسبة التي تنسجم وطبيعة كل كيان اجتماعي حضاري، وماهي الشروط العقلية والمعرفية المطلوبة لذلك وكيف نحققها ونستوفيها؟!

ثامن عشر: كيف نوجد التناسق والتوافق بين الكيانات الاجتماعية الحضارية الإسلامية، ونرتقي بها وفق خطة مدروسة، حتى نتمكن من جمع هذه الكيانات وتوحيدها سياسياً في زمن منتظر وليكن مداه نصف قرن أو أقل أو أكثر؟ وماهي الأسس والوسائل التي علينا أن نسلكها للوصول إلى ذلك؟

تاسع عشر: كيف نوظّف عمليات فهم الواقع في جهود ترشيد الواقع والرقي به وماذا عن الوقت والزمن وجدليته؟

عشرون: كيف نحقّق الفاعلية في شعوبنا رغم كل المعوّقات، وكيف نزوّد طلائعنا الإسلامية بالأدوات والوسائل التحليلية التي تمكنهم من معالجة المسائل التنظيمية والإدارية التي تحقق تلك الفاعلية في الأمة، وتخرجهم من حالة «الغثائية» والسير خلف كل ناعق؟!

واحد وعشرون: كيف نزوّد طلائعنا الإسلامية بالقدرة اللازمة لفهم وتحليل الظواهر الاجتماعية والإنسانية، وطرائق التعامل معها وقرنها بتوجيهات الكتاب والسنة.

إثنتان وعشرون: كيف نجعل من الوحي والوجود مصدرين لفكرنا وثقافتنا وحضارتنا، وكيف نتعامل مع كل منهما تعاملا يحقق ذلك؟ وكيف نبني منهجيّتنا المعرفية عليهما؟

ثلاث وعشرون: كيف نصل إلى مستوى تحدي الآخر وإعجازه

ثم الأخذ بيده لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

أربع وعشرون: كيف نعيد إلى أمتنا مفهوم «الامة» فنجعله جزءاً من بنائها العقيدي العقلي ونسيجها النفسي وسلوكها الإسلامي، وتربيتها، وكيف نعيد بناء الوعي على فروض الكفايات التي تمثل الوعي الأمّتي وشروط الشهود الحضاري؟

خمس وعشرون: كيف نعيد بناء عقلية الأمة، وتركيبها النفسي إلى حالة الاعتدال والفاعلية التي كانت عليها عند سلف هذه الأمة؟

ست وعشرون: كيف نعيد الاجتهاد إلى دوائرنا الفقهية والعلمية، والإبداع إلى دوائرنا المعرفية والفكرية، والشورى إلى دوائرنا كلها بدءاً بالأسرة وانتهاء بالدولة ونربّي الأمة على ذلك؟

سبع وعشرون: كيف نتخلّص من الاستبداد السياسي وحكم الفرد الذي أصبح يهدد كل مقوماتنا؟ أي استبداد كان وأي فرد كان وفي أي مستوى من المستويات، وهل لدينا تصور أو برنامج للخروج من إطار الاستبداد السياسي وغيره؟

وظيفة الدين في المجتمع

أحمد أمين *

• انتشار العلم في أوربا لم يمنع الحرب و ويلاتها • من قُصر النظر أن تنظم الحياة المادية وحدها من غير أن تنظّم الروح • أراد الماديون أن يؤسسوا نظاماً للأخلاق مبنياً على العقل البحت فلم ينجحوا • الدين ضرورة من ضرورات الحياة أشدّ من العلم • الدين يدعو إلى الوئام لا الشقاق والى الحب لا الخصام.

امتاز القرن الثامن عشر والتاسع عشر بوضع خطّة ترمي إلى أن يكون العلم أساس الحياة، وبشّر الدعاة فيهما بأن العلم هو الذي يزيل شقاء العالم، ويزيد من سعادته، وهو الذي ينبغي أن تبني عليه كل نظم الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية. وأدّاهم هذا النظر إلى الاعتقاد (بالجبر) ولكن لا على النحو الذي كان يقول به الأقدمون، وهو أن ظروف الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والطبيعية ترغم الناس على نوع من الحياة لا يمكنهم أن يتحولوا عنه، فالفقر نتيجة طبيعية للنظام الاقتصادي، وسوء حالة الأفراد في بؤسهم وضعف عقلهم

* - كاتب مصر المعروف، من قلمه سنة ١٩٤٩ .

واضطرابهم وخرافاتهم وأوهامهم، نتيجة طبيعية للنظم السياسية والاجتماعية التي يعيشون فيها، فإذا تغيرت تغيروا، وإذا حسنت حسنوا.

وهذا حق من ناحية أن الحياة ينبغي أن تؤسس على العلم، فالمشروعات التي تقترح، ونظم التربية التي توضع، وتنظيم الحياة الاقتصادية ونحو ذلك، كلها يجب أن تبنى على العلم والإحصاء والتجربة.

ولكن خطأ هذه النظرية جاء من أن العلم ليس كل شيء، وأنه لا يكفي وحده لإسعاد العالم، فانتشار العلم في أوروبا لم يمنع الحرب وويلاتها وأهوالها ولم يحقق الأمل الذي بشّر به العلماء، ولو خيّر أكثر الناس بين بيت أسس على أحدث طراز من العلم والصناعة فجهز بالراديو والتلفون ومكيّفات الهواء وأدوات الزينة ونحو ذلك وسكنته أسرة فقدت أحد أبنائها في الحرب، وبين بيت أقلّ مدنية وحضارة ولكن سلم أهله من الحرب وويلاتها، لفضلوا البيت الثاني على البيت الأول والحياة الثانية على الحياة الأولى.

لو كان الإنسان جسماً فقط يخضع للعلم لصحت هذه النظرية من جميع وجوهها ولكن الإنسان جسم وروح، وعقل وقلب، ومادة وإرادة، فَمِنْ قصر النظر أن تنظم الحياة المادية وحدها من غير أن تنظم الروح، وينظم العقل وحده ولا ينظم القلب، وتجري

تجارب المادة على الإنسان كأنه جماد من غير أن ينظر إلى إرادته الحرة.

لذلك نجحت المدنية الأوروبية في باب المادة وما يتعلق بها ولم تنجح في باب القلب وما يتصل به. والمدنية الصحيحة هي التي تعالج الإنسان في جانبيه اللذين فطر عليهما وهما جسمه وروحه.

إن العلم في كل أشكاله حتى علم النفس يعالج المادة، والذي يعالج القلب هو الدين، ولا تنتظم سعادة العالم إلا بهما. فإذا غلا العلم فاعتقد أنه يسيطر على كل شيء في الإنسان فقد أخطأ. وإذا غلا الدين وحارب العلم في دائرته فقد أخطأ.

إن كان العلم يحقّق رغبة الإنسان من حيث مادته، فالدين يحقق أمله وطموحه من حيث نفسه وقلبه.

لقد أراد الماديون أن يؤسسوا نظاماً للأخلاق مبنياً على العقل البحت فلم ينجحوا. إن الأخلاق إذا كان يحميها القانون فقط أو الحكومة أو الضمير أو الرأي العام لم تكن أخلاقاً محصّنة، فكل هذه الوسائل لا تمنع الإجرام. فكم من الجرائم يستطيع الإنسان ارتكابها ولا يصل إليها القانون ولا الحكومة ولا الرأي العام، وما سمّي بالضمير ليس إلا مرآة منعكسة للعرف والتقاليد.

فالضمير في الهند كان يسمح للزوجة أن تدفن حيّة وراء زوجها، والضمير في أمريكا يسمح للأمريكي أن يعامل الزنجي

معاملة الإنسان للغنم. والدين هو الذي يسد هذه الثلمة فيربط قلب الإنسان بربه، وضميره بإلهه، وإلهه مطلع على خفاياه يحاسبة حتى على نياته، ويراقبه حتى في خلجات نفسه.

لذلك كان لابد من الدين لحياة القلب، وحياة الضمير، وتحقيق السعادة، وبدونه تصبح الحياة جافّة مادية تافهة لا قيمة لها.

هذا فضلاً عن أن الدين هو الذي يتفق والطبيعة الإنسانية، والغرائز البشرية فمن فقد دينه فقد أفسد طبيعته، وجزاؤه على ذلك الحيرة والاضطراب وقلق البال وزعزعة النفس وخاصة عند الشدائد، أو عند الشيخوخة، أو عند حضور الموت.

وإذا كان الدين هو الذي يتفق والطبيعة البشرية وهو الذي يكمّل نقص العلم، وهو الذي يسعد الناس ويطمئنهم ويرقى بهم، كان ضرورة من ضرورات الحياة أشدّ من العلم.

وليست الأديان كلها بمنزلة واحدة في تحقيق هذا الغرض، فقد يضرّ الدين إذا كان دين خرافات وأوهام، يقف حجرة عثرة في سبيل العلم، وقد يضّر الدين إذا كان لا يتفق مع الطبيعة الإنسانية فيدعو إلى العزلة والتبتل والرهبانية، وقد يضر الدين إذا ملأ الإنسان رعباً وخوفاً ورهبة فإنه يشلّ عن العمل في الحياة، وقد يضر الدين إذا لم يكن روحانيا واقتصر على الانهماك في

اللذائذ والاستهتار بالحياة، إنما الدين الصحيح ما سما بالإنسان فوق حاجاته الجسمية، وأوثق الصلة بينه وبين الله العادل الحكيم المتصف بجميع صفات الكمال، المنزه عن جميع صفات النقص، والدين الصحيح هو الذي يبث في نفوس أصحابه روح الأخوَّة بينهم وبين سائر أفراد البشر لأنهم جميعاً من صنع إله واحد. والدين الصحيح هو الذي يتمشّى مع الطبيعة الإنسانية ولكنه يرقّيها، ويحيي غرائزها ولكن يعدِّلها ويلطّفها، والدين الصحيح هو الذي يربط عبادة الله وطاعته بخير الناس، ويربط عصيانه بفساد الناس ويبث في نفوس أتباعه حب العدل والإخاء والمساواة وكره الظلم والطغيان والطبقات. والدين الصحيح هو الذي يرقي القلب ويحييه، ويوحى إلى الضمير باتباع أوامر الله واجتناب نواهيه.

والناظر في الإسلام يراه أسِّس على هذه المبادئ: فالله رب العالمين، والمؤمنون إخوة، والناس سواسية، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، والرسل ليسوا إلا بشراً كسائر الناس: رقى استعدادهم، وتفتّحت نفوسهم فأوحى الله إليهم بتعاليمه، وبما يصلح من معاش الناس ومعادهم.

إن الدين على هذا الوضع يدعو إلى الوئام لا الشقاق، وإلى الحب لا الخصام، وإلى عمل الخير لا عمل الشر، وإلى الإكثار من

الخير وتلافي الشر. إن كان هذا فما أعجبنا من خصام يكون بين الدين الواحد. لقد كان حريّاً أن لا يكون خصام بين الأديان المختلفة، فكيف بأهل دين واحد ؟! لقد تبين الرشد من الغي، وتبين أن للإسلام أصولا وفروعاً، وأن أصول الإسلام إيمان بالله وإيمان بحياة أخرى وإيمان برسله، فمن اعتنق هذه الأركان كان مؤمناً وكان مسلماً، وهذه الأركان هي لبُّ الدين. فالخلاف في الفروع خلاف لا يصح أن يكون مثار حرب ولا نزاع ولا عداء، ولئن صح أن يكون خلاف فخلاف يقتصر على المنطق وتبادل الآراء وإقامة حجة أو بطلان حجة، ولا يصح أن يتعدى هذا. فما أعجب قوماً لهم رب واحد، ورسول واحد، وكتاب واحد، يتنازعون في الفروع هذا التنازع العقيم ثم يكفّر بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً، ويلجأون إلى السلاح في إقامة الحجّة، وما كان السلاح يوماً إحدى الحجج ولا وسيلة للإقناع.

إنما نشأ هذا عن ضيق في النظر، وتعصّب أعمى، وفساد في الذوق، وانحراف عن أصول الدين، وسياسة تعتمد على التفريق، وجهالة تتّجر بالجهل، ولئن صح هذا في العصور المظلمة والعصور الجاهلة، فلا يصح في هذا العصر المستنير العاقل، ولئن صح أن يصدر هذا الخلاف عن أهل دين يقولون بالتعديد فلا يصح عن أهل دين يقولون بالتوحيد !.

الوعي والبدعة

• برزت البدع في التاريخ الإسلامي من يوم أن أجازت السلطة الحاكمة لنفسها أن تشرّع خلاف نصوص القرآن والسنّة • الحسين بن علي رائد مكافحة البدع في عصره• الإمام الخامنئي سار على طريق جدّه في مكافحة البدع • انتصار الإسلام في إيران نسف أخطر البدع التي كانت سائدة بين المسلمين.

الالتزام بالقرآن والسنة أعظم ميزة تختص بها الجماعة المسلمة. وهذه الميزة توحد الأمة في الفكر، والعاطفة، والروابط، والمسير، والهدف، وتحول دون أن تتلاعب بها الأهواء وتعصف بها التيّارات وتفتك بها عوامل التفرقة والشتات.

ومن الواضح جدّاً أن الأمة الإسلامية كانت موحّدة بقدر ما كانت ملتزمة بالقرآن والسنة، ثم دبّ فيها الشقاق واتّسع باتّساع دخول "البدع" فيها.

الكفر والإلحاد والزندقة لا تمزّق الأمة كما تمزّقها البدعة. لأنّ الأمة تقف جميعها صفّاً واحداً أمام الكفرة والملحدين والزنادقة، غير أنّها إزاء البدعة ـ وهي الانحراف المتقمّص لباس الدين ـ تنقسم على فريقين: فريق واع متفهّم لدينه يميّز الحق من الباطل، فينكر البدعة، وفريق لم يبلغ مستوى التمييز والتمحيص ، فيتّجه مدفوعاً بعاطفة سطحية أو بذاتية ضيقة إلى

الانحراف العشوائي وراء المبتدعين، وقد يبلغ به التعصب لها حد تقديم النفس والنفيس!!

وبرزت البدع في تاريخ الإسلام من يوم أن أجازت السلطة الحاكمة لنفسها أن تشرّع خلاف نصوص القرآن والسنة، فدخلت في المجتمع الإسلامي بدعة التمييز الطبقي والتمييز العنصري، وبدعة السكوت أمام التسلط الفرعوني، ومن يوم أن ولي أمر الأمة ولاة من سفهائها وفجّارها، فاتّخذوا مال الله دولاً، وعباده خولاً، والصالحين حرباً، والفاسقين حزباً.

لقد ظهر على مرّ التأريخ دعاة وقفوا بوجه البدع وحاربوها، واسترخصوا كلّ نفيس من أجل إعلان زيفها، وقدّموا دمهم في سبيل مكافحتها، وفي سبيل إعلان حكم الله صريحاً واضحاً بشأنها.

وتمرّ علينا كلّ عام ذكرى "عاشوراء" الحسين بن عليّ سبط رسول الله(ص)، الذي سجّل أعظم موقف إسلامي ملتزم في مكافحة بدع العصر الأموي، السياسية منها والاقتصادية والفكرية والعقائدية.

وهذه الذكرى ـ وإن اتّخذت طابعاً مذهبياً مع الأسف ـ هي في الواقع حدث هامّ يجب أن يعتز بها كل مسلم غيور على أمته وإسلامه، لأنّ صاحبها لم يكن يمثّل طائفة خاصة من المسلمين، بل كان يعبّر عن آمال كلّ المسلمين الذين يستهدفون العودة إلى إسلام رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام دون أن تشوبه بدعة

المبتدعين وانحراف المنحرفين.

مَـن مـنَ المسـلمين اليـوم لا يعـرف مكانـةَ الحسـين(ع) ولا يجـلّ الأهداف الّتي أعلنها، ولا يقـف موقـف إعظـام وخشـوع أمـام جسـامة التضحية التي قدّمها؟

مَنْ مِنَ المسلمين اليوم لا يعرف فضل الحسين على الأمة بما بذلـه في سـبيل إحيـاء روح العـزّة والكرامـة والمقاومـة والأصـالة والالتـزام ورفـض البـدع فيهـا؟ فلمـاذا إذن تبقـى ذكـرى "عاشـوراء" محـدودة في إطـار مـذهبي معـين؟ لمـاذا لا تتّسـع لتشـمل كـلّ مـن يعرفون الحسين مكانته وأهدافه وتضحياته، وآثار ثورتـه في مسيرة الحياة الإسلامية؟!

وثـورة الحسـين إن اسـتطاعت أن ترسـم الطريـق أمـام كـلّ المصلحين تجاه المبتدعين، فهي لم تستطع ـ في ظلّ غياب الوعي الإسـلامي وإقصـاء القيـادة المبدئيـة للأمـة ـ أن تضـع حـدّاً لظهـور البدع، فاستمّرت الانحرافات بأشكال شتّى، واستمّرت أيضاً الثورات لتصحيح المسار على يد الذين دخلت ثورة الحسين(ع) في وجدانهم وترسّخت في نفوسهم وعواطفهم.

ما أردنا في هذا المقال أن نقف عند ثورة الحسين رائدة مكافحة البـدع في التـاريخ، لأنهـا أشـهر مـن أن نتحـدّث عنهـا، وأعظـم مـن أن نخصص مقالاً لها، بل أردنا أن نلمّح إلى موقف عظيم آخر أتخذه سـليل الحسـين العبـد الصـالح الإمـام الحسـيني السـيد علـي الخامنئي (سنة١٤١٥هـ) لنفض مـاران على ذكـرى الحسين(ع) مـن

بدع هي أبعد ما تكون عن روح الإسلام وروح أهداف عاشوراء.

لقد اهتمّ الحريصون على "حياة" الأمة بإبقاء ذكرى الحسين(ع) "حيةً" في النفوس، ووضعوا لنا "منهاج إحياء الذكرى" في إطار ملتزم محافظ على تعاليم الإسلام ومبادئه. وعلى مر الزمن ـ وفي ظلّ غياب الوعي وإقصاء القيادة المبدئية ـ طال منهاج الإحياء هذا ما طال سائر أمور الدين من بدع وانحراف. وظهر فيه ما يسيء إلى عظمة الذكرى ورساليّتها. وظهر بين الفينة والأخرى من تصدّى لهذه البدع، لكنّ الموقف الغالب منها كان السكوت خوفاً من رد فعل العامة والغوغاء، كما كان هناك من يشجّع هذه البدع والخرافات ليعيش على دفئها كما يعيش المشعوذون على دفء جهل الناس وهبوط مستوى تفكيرهم.

الانتصار الإسلامي الكبير في إيران نَسَفَ أخطرَ بدع كانت تسود الذهنيّة الإسلامية، تدور حول استحالة إقامة دولة الإسلام، وحول انفصال الدين عن السياسة، وحول عدم إمكان الانتصار على الطاغوت العالمي المستفحل.. وبعد انهيار هذه البدع الكبرى كان لابد من الالتفات إلى البدع الأخرى الموروثة من عهود الانحطاط وضعف الصوت الإسلامي الملتزم. ومع أن حياة الإمام الراحل السيد آية الله العظمى الخميني(رضي الله عنه) وأرضاه كانت مليئة بعد الانتصار الإسلامي بمهام إقامة الدولة، وتثبيت الأسس والمفاهيم، ومواجهة الحرب الطويلة الظالمة، لكنّه لم يترك فرصة دون أن يعلن استنكاره لظاهرة انحرافية أو لبدعة يراها في

المجتمع ويقدّم توجيهه اللازم بشأنها. واصل هذا الطريق خَلَفُهُ بجدّ ونشاط خاصة مع ازدياد موجة الحركة الثقافية والاجتماعية الدينية بسبب توقف الحرب.

ويأتي ذلك الموقف من الإمام الخامنئي تجاه بعض البدع في إحياء ذكرى الحسين(ع) أيام شهر محرم، ليسجّل صفحة تاريخية بيضاء ناصعة من صفحات تاريخ آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين في إحياء السنة وإماتة البدعة.

صحيح أن حادثة عاشوراء بكلّ ما أحاط بها من مأساة لم يعرف التاريخ لها نظيراً، تدمي القلب، وتحزّ في النفس وتثير عاطفة وهياجاً في وجدان من يحب رسول الله وآل بيته، لكنّ إحياء هذه الذكرى في العواطف يجب أن يكون في حدود ما أقرّته السنّة، وكل خروج عن ذلك فهو بدعة تشوّه الوجه الناصع للإسلام، وتفتح المجال للجهلة والمغرضين أن يعبثوا كيفما شاؤوا في شعائر العزاء الحسيني، ويأتوا كلّ يوم بطامة جديدة.

وهذا ما حدث بالفعل حين عمد نفر إلى إشاعة إدماء الرأس والجسم يوم العاشر من محرّم، تحت عنوان المشاركة العاطفية مع دماء العترة الطاهرة التي أريقت في كربلاء. ومهما يكن الدافع في هذا العمل نزيهاً فإنّه خروج على السنة و"أشبه شيء بالخرافة" ولا يقرّه الإسلام.

وواضح أن اتّخاذ موقف تجاه هذه الظاهرة وأمثالها يصطدم بعواطف أولئك الذين يقدّسون هذه العادات، ويجعلون منها

وسيلة قربة إلى الله سبحانه وتعالى، ووسيلة انشداد بآل رسول الله عليه أفضل الصلاة والسّلام.

ولكن العالمَ الملتزم يجب أن يُظهرَ علمه تجاه البدعة رغم لوم اللائمين، وهذه بعض العبارات التاريخية الخالدة من خطاب السيد وليّ أمر المسلمين في هذا المجال باختصار شديد:

ـ«الخطابة (في مجالس العزاء الحسيني) يجب أن تدور حول ثلاثة محاور: تعميق العاطفة تجاه الحسين بن عليّ(ع) وآل بيت رسول الله عليهم الصلاة الله. وإعطاء صورة واضحة للمستمع عن حادثة عاشوراء.. وبثّ الوعي الدينيّ والعمق الإيماني تجاه المعارف الدينية .. يجب أن نحذّر تماماً من أيّ فعل يبعد مجلس العزاء الحسينيّ عن فلسفته الواقعيّة.

ـ (إدماء الرأس) ليس من الدين: إنّ الله لا يرضى عنه دون شكّ. وعلماء السلف كانوا مكتوفي الأيدي وغير قادرين أن يقولوا شيئاً (تجاه هذه البدع)، أمّا اليوم فهو يوم حاكميّة الإسلام وسطوع نجم الإسلام، فلا يجوز أن يشوب مجتمعنا الإسلامي السامي.. ما يُظهره خرافيّ غير منطقيّ.

ـ أنا واثق أنّ هناك من سيلّعق على كلامي هذا، تحدوه عاطفة نبيلة قائلاً: حبّذا لو أنّ فلاناً لم يتحدَّث عن هذا الموضوع الآن! كلا! لا بدّ أقول كلمتي، لا بدّ أن أقول كلمتي. أنا مسؤول أكثر من الآخرين. أنتم أيها السادة يجب أن تقولوا أيضاً كلمتكم.

ـ هذا خطر كبير في عالم الدين والمعارف الدينية، حماة حدود

العقيدة يجب أن يلتفتوا إلى ذلك.

ـ "المرحوم آية الله العظمى السيد البروجردي(رحمه الله) هذا العالم الكبير، والمجتهد القويّ العميق المتفتّح نهى ـ كما نقل ـ عن تقبيل عتبة (مراقد أئمة أهل البيت) مع أنّ هذا العمل قد لا يخلو من استحباب.. وذلك لكي لا يوحي هذا العمل أنّنا نسجد لقبور أئمتنا.. فمن الذي يُشيع اليوم العادات الخاطئة بين الناس (في طريقة زيارة قبور الأئمة)؟! أخشى أن يكون (ترويج هذه الظواهر الإنحرافية) من عمل الأعداء!... ».

وأمام هذا الموقف التاريخي الشجاع يتحمّل الاسلاميّون مسؤولية كبرى. مسؤولية إشاعة الوعي الإسلامي العميق لتجفيف منابع مظاهر الانحراف والبدع.

ولنا في الخاتمة حديث مع كل المصلحين العاملين على مكافحة البدع في عالمنا الإسلامي.

مكافحة البدع يمكن أن تجمع الأمة ويمكن أن تفرّقها وتزيد في تمزّقها:

تجمعها إن كانت محاربة البدع تنطلق من فهم واع حضاري عميق لمفهوم البدعة، وكانت مصحوبة بعملية توعية شاملة على الإسلام بكل جوانبه وأبعاده الواسعة، كما يحدث اليوم في ظلّ دولة الإسلام المباركة.

وتفرّقها وتمزّقها إن كانت تفهم البدعة فهماً ضيّقاً متخلّفاً لأنّه ـ بموجب هذا الفهم ـ ستكون العلوم الفلسفية والكلامية التي

هي حصيلة الدراسات العقائدية لعلماء الإسلام، وسلاح الدعاة لمواجهة الأفكار الهدامة.. ستكون بدعة لأنّها لم تكن في زمن الصحابة والتابعين!! وستكون المؤتمرات والندوات والاحتفالات التي تقام لإحياء ذكرى رموز الإسلام في مواليدهم ووفياتهم بدعة!!، وسيكون الاهتمام بمراقد هؤلاء الرموز وزيارتها لاستلهام معطيات حياتهم الجهادية والفكريّة بدعة أيضاً!!

ولقد شهدت القرون الأخيرة مثل هذه التيّارات لمكافحة البدعة أضرّت ـ مع الأسف ـ أكثر مما نفعت ، ومزّقت الأمة أكثر مما جمعتها على القرآن والسنّة.

مكافحة البدع تفرّقها أيضاً إن لم يصحبها وعي كامل بالإسلام في جميع أبعاده السياسيّة والاقتصادية والاجتماعية والعقائدية لأنّ الجاهل بلبّ الإسلام سيتشبّث بالقشور ويتعصب لها وينازع من أجلها، وتأتي النتيجة عندئذ خلاف ما يتوقّعه الداعية في تجميع الأمة على هدى القرآن والسنّة.

فلتتّحد كل خطى العاملين على مكافحة البدع في أمّتنا الإسلامية على هدي من القرآن والسنة وفهم حضاريّ عميق للإسلام، وليكن أسلوبهم الحكمة والموعظة الحسنة: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

أمة واحدة
في ظل تباول ثقافي

* محمد تقي القمي

• مشروع الوحدة الثقافية بين المسلمين مشروع مبارك جليل يركز على المساحات المشتركة ويؤمن بالتعددية • معرفة اللغات الإسلامية عامل مهم من عوامل التفاهم الثقافي بينهم • المسلمون لا يعرفون عن علمائهم وأدبائهم بمقدار عشر ما يعرفونه عن علماء الغرب وأدبائه.

جرى الحديث بيني وبين العلامة الشهير المغفور له الإمام الشيخ المراغي شيخ الجامع الأزهر، وكأني أرى هذا الحديث أمامي كما لو كان بالأمس القريب، والحال أنه قد مرّ عليه زمان لا يقل عن عشرة أعوام.

كان موضوع الحديث هو المشكل الخطير الذي على المسلمين أن يعالجوه إذا أرادوا نهضة موحدة تشمل جميع شعوبهم وبلادهم: وهو توحيد المسلمين ثقافياً.

كان الكلام بيننا في أن المسلمين لا يعرف بعضهم بعضاً، وأن الصلة منقطعة بينهم، ولابد من تقريبهم ثقافياً، ليعرف كل ما

---

* - الشيخ محمد تقي القمي، مؤسس دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة بالتعاون مع علماء الازهر الشريف، والمقال كتبه سنة ١٩٤٩م.

عند الآخر، وبذلك يحصل التوحيد المنشود، وترتفع المنازعات والخلافات في كل المسائل أو في أكثرها، أو تقف، على الأقل، عند حدودها الحقيقية.

ذكّرني هذا الكلام يومئذ بقصة أوردها عارف إلهي عظيم، في سياق أراد به استنتاج بعض المعاني العرفانية السامية، فذكرت لفضيلته هذه القصة، ولا أرى بأساً من أن أعيد ذكرها للقراء لأنها تعبر عما نحن فيه أصدق تعبير، وتوحي بمعالجته من أقرب سبيل:

كان أربعة من الفقراء جالسين في طريق، وكل منهم من بلد: أحدهم رومي، والثاني فارسي، والثالث عربي، والرابع تركي، ومر عليهم محسن فأعطاهم قطعة من النقد غير قابلة للتجزئة، ومن هنا بدأ الخلاف بينهم، يريد كل منهم أن يحمل الآخرين على اتباع رأيه في التصرف في هذا النقد، أما الرومي فقال: نشتري به (رستافيل) وأما الفارسي فقال: أنا لا أرى من (الأنكور) بديلاً، وقال العربي: لا والله لا نشتري به إلا (عنبا)، وقال التركي متشدداً في لهجة صارمة: إن الشيء الوحيد الذي أرضى به هو (أوزوم)، أما ما سواه فإني لا أوافق عليه أبداً، وجر الكلام بين الأربعة إلى الخصام، وكاد يستفحل الأمر لو لا أن مرّ عليهم رجل يعرف لغاتهم جميعاً، وتدخل للحكم بينهم، فبعد أن سمع كلامهم جميعاً، وشاهد ما أبداه كل منهم من تشدد في موقفه أخذ منهم النقد

واشترى به شيئاً، وما إن عرضه عليهم حتى رأى كل منهم فيه طلبته، قال الرومي: هذا هو (رستافيل) الذي طلبته، وقال الفارسي: هذا هو (الأنكور) وقال العربي: الحمد لله الذي اتاني ما طلبت ! وقال التركي: هذا هو (أوزوم) الذي طلبته، وقد ظهر أن كلاّ منهم كان يطلب (العنب) من غير أن يعرف كل واحد منهم أنه هو بعينه ما يطلبه أصحابه.

لسنا في هذا المقام بصدد بيان ما دار في هذه الجلسة أو في الجلسات الأخرى الممتعة التي كنت اجتمع فيها بفضيلة الإمام المراغي، ولسنا أيضاً بصدد بيان ما وصلنا إليه في نفس تلك الجلسة من إقرار تدريس بعض اللغات الإسلامية كوسيلة للتفاهم بين البلاد الإسلامية المختلفة، كما أننا لسنا بصدد أن نقول: هل واصلنا السير إلى الامام منذ ذلك الوقت أو رجعنا القهقرى؟ ومهما يكن من شيء فإن أمامنا في اللجنة الثقافية لجماعة التقريب مشروعاً يرمي إلى توحيد المسلمين ثقافياً، أو إن شئت فقل توحيد الثقافة الإسلامية بين المسلمين: فكرة ضخمة، ومشروع جليل، ينظر إلى المسلمين كأمة واحدة، لغاتها محترمة عند الجميع، آدابها للجميع، رجالها للمسلمين عامة.

ليس أحد ينكر على المسلم أن يعرف الأدب الغربي، لكن عليه في الوقت نفسه أن يعرف شيئاً عن أدب رجال نشأوا في الإسلام، ونبغوا في البلاد الإسلامية، لا مانع يمنع المسلم أن يعرف اللغة الغربية،

ولكن مما ينكر عليه أن لا يعطي قسطاً من اهتمامه للغات الإسلامية ـ ولعل منها ما يتكلم به أكثر من مائة مليون من المسلمين ـ فتكون لغة التخاطب بين كثير من المسلمين بعضهم وبعض إحدى اللغات الغربية، لأن كلا الطرفين المسلمين لا يعرف من لغة الآخر شيئاً.

ليس بمنكر على المسلم ـ بل من المستحسن ـ أن يعرف كثيراً عن القارة الاوربية أو الامريكية أو غيرهما، غير أنه بوصفه مسلماً عليه أن يعرف أكثر مما يعرفه الآن عن البلاد الإسلامية وأقطارها.

إن توحيد المسلمين ثقافياً لا ينافي أن تعمل كل طائفة من الطوائف الإسلامية، بما ثبت عندها واعتقدته، مادام هذا لا يمس العقائد الاساسية، التي يجب الإيمان بها، ولكن من الواجب أن تعرف كل طائفة من المسلمين حقيقة عقائد الآخرين، لعلها تجد فيها ما تستفيد منه، أو ـ على الأقل ـ إذا أراد أحد باحثيها أن يكتب عنهم شيئاً، أو ينقل بعض فتاواهم، فلا يكتب (وأما ما سمعنا عنهم أنهم يقولون كذا وكذا أو أنه يقال عنهم كذا وكذا) ولعمري أن هذا لسُبة في جبين العلم: أن لا يتعب رجاله أنفسهم بالبحث عن كتاب يجدون فيه كل ما يبحثون عنه، من غير أن يسندوا أقوالهم إلى السماع، وكثيراً ما يجيء هذا القول المسموع من ذوى الأغراض الخبيثة.

ومما هو واضح أنه ليس معنى توحيد الثقافة، توحيد اللغة، وليس هذا أمراً ممكناً، ولعله لا يفكر في هذا، ولا يتفوه به، إلا من يريد أن يبعث التعصب للغات أيضا، أو يريد أن يستعمر الآخرين، ولكن المهم هنا أن يفهم بعضنا بعضاً، وهذا ممكن جداً إذا وجد في البلاد العربية مثلا رجال يعرفون لغات الآخرين وعند الآخرين من يعرف العربية ويتحدث بها، وهذا ما كان في العصر الذهبي للإسلام: شعوب لم يصطبغوا بالصبغة العربية، واحتفظوا بلغتهم القومية إلا أن رجالا منهم، وهم علماؤهم عامة، كتبوا ودوّنوا العلوم بالعربية، وخدموا اللغة العربية نفسها أية خدمة، من دون أي تعصب، أو أقل تحيّز.

طبعاً الترجمة لابدّ منها، وكثيرا ما نترجم آثاراً من الغربيين بأنواعها، فنجد فيها، ما يفيد ولا ننكره ونجد فيها ما يفسد الأخلاق وينشر الخلاعة حيناً، والإلحاد والمادية حيناً آخر، ولا يشك مسلم في خطر هذا النوع على الدين والآداب الإسلامية.

وما دام عندنا هذا الاستعداد للترجمة، أليس من الخير أن نوجهه إلى الصحيح من الأدب الغربي، وأفكار أهله، والى الآثار الإسلامية بما في ذلك ترجمة الكتب والدواوين والحكم والقصص وأخبار التاريخ السائرة بين الشعوب الإسلامية، وفيها من الكتب ما يستحقّ أن يتعلّم الانسانُ لغتَه كي يقف بنفسه على عظمة النصّ الأصلي لذلك الكتاب.

إن في البلاد الإسلامية معادن وكنوزاً، وأن للمسلمين رجالا نابغين، وعلماء أكفاء عاملين، وأدباء قديرين، فهل يعرفهم العالم الإسلامي، وهل يعرف عنهم عُشْرَ ما يعرف عن علماء الغرب؟ وهل سمع عن آثارهم ؟ وهل عرف أن منهم مؤلفين خلّفوا مجلدات من الكتب، يعد كل واحد منها، مرجعاً من المراجع ودليلاً قائما بذاته، لفكرة ناضجة عند المسلمين.

إن للمسلمين جامعات علمية كبرى في مختلف البلدان، فيها الآلاف من طلاب علوم الدين، وإن النظام الدراسي فيها لنظام حر، فهل عرفت الأغلبية من المسلمين عنهم شيئاً؟!

لو أن التعارف بين المسلمين تم على أساس توحيد الثقافة، بما في ذلك التبادل الثقافي، وتأليف كتب عن كل طائفة لإعطاء صورة صحيحة عنها، وتعليم اللغات الإسلامية في جامعاتهم وترجمة آثارهم ورجالهم، لعرف المسلمون أنفسهم، وعلموا قوتهم ومقدرتهم، وأنهم مسلمون قبل كل شيء، مسلمون في كتابتهم وتآليفهم، مسلمون في قصصهم وأشعارهم، وأنهم أمناء فيما يكتبون.

لابد أن يلتقي المسلمون، وهل من منكر أن خير اللقاء هو اللقاء الثقافي بمعزل عن كل تعصب أعمى، ثقافة تحت ظل الدين. ثقافة يجتمع المسلمون في ظلها مثلا (بالحافظ الشيرازي) و(حافظ ابراهيم) المصري، ومحمد اقبال المسلم الهندي، مع

اختلاف لغاتهم وتفاوت درجاتهم.

وإذا كان هذا شأن الآداب لدى المسلمين، فأسهل منه شأن الفقه وعلوم الدين، والعلماء كلهم من أي مذهب من المذاهب الإسلامية،قد استمدواعلومهم من الكتاب والسنة، واللغة العربية هي لغة الدين، وبما أن المصدر واحد واللغة واحدة، فان أقل تبادل ثقافي، يكفي لأن تحترم كل طائفة ما عند الاخرى ولأن يقمع كثير من الخلاف الذي نحن في غنى عنه.

هذا ما نبغيه، وهذا ما نسعى اليه، وإن لنا في توحيد الثقافة الإسلامية، الذي يجعل كلا منا يعرف ما عند الاخرين لأملاً كبيراً في أن يرجع للمسلمين مجدهم، ويجعل الاجانب والمستعمرين، يحسبون لهم ألف حساب، وترجع للعِلْمِ الإسلامي قدرته على انتاج أطيب الثمار.

إن ما تتطلع إليه الجمهورية الإسلامية، هو تطبيق ما جاء في القرآن الكريم وعلى لسان الرسول الأعظم محمد(ص) وما نريد أن نقوله للشعوب هو: إن الإسلام دين الوحدة والتآخي والمساواة، ولا فضل لفئة على فئة أخرى إلا بالتقوى والعمل بأحكام الإسلام ونصوصه.

المذاهب الإسلامية بين السلب والإيجاب

• ورثنا أقاويل تصف أهل السنة بالنواصب وتصف الشيعة بالروافض

• يجب أن يكون شعار كل المسلمين أن نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه • كلّ الاختلافات الموجودة بين السنة والشيعة لا تجعل أحد الفريقين يخرج من دائرة الأمة الإسلامية الواحدة

• قوى الهيمنة العالمية لا تميز بين شيعي وسنّي في موقفها المعادي للأمة الإسلامية

ظهرت في تاريخ المسلمين، منذ وفاة النبي الأعظم عليه أفضل الصلاة والسلام، اختلافات سياسية وفكرية، ولهذه الاختلافات عوامل يطول ذكرها. وشَهدَ المسلمون على مرّ العصور نزاعات مؤسفة بين الفرق والمذاهب، وكان وراء هذه النزاعات غالباً مصالح الحكم والسلطة، والجهل الذي يجرّ إلى التعصّب المقيت.

لقد ورثنا الأقاويل الناتجة عن تلك النزاعات، فمن قائل عن أهل السنة أنهم نواصب معادون لأهل البيت، ومن قائل عن الشيعة أنهم روافض ولا يعملون بسنة رسول الله(ص)، أضف إلى هذا المناوشات الكلامية بين الحنابلة والحنفية والشافعية والمالكية، والأشاعرة والمعتزلة.

خطّة تمزيق العالم الإسلامي اتجهت في المرحلة الأولى إلى عزل

الـدين، وإحيـاء القوميـات والإقليميـات، ولّـما فشـلت هـذه الخطّـة وتصـاعدت نـداءاتُ العـودة الإسـلامية، اتجهـت الجهـود إلى إحيـاء النزاعـات المذهبيـة التاريخيـة بـين المسـلمين، في محاولـة جديـدة للتمزيـق. وبعـد الانتصـار الإسـلامي الكـبير في إيـران تكثّفـت هـذه الجهود من أجل تحجيم هذا الانتصار، ومنع انتشار ظاهرته.

وأعتقـد أنّ المسـلمين سـنة وشـيعة يتحملـون اليـوم مسـؤولية التصدّي لهذه المؤامرة وفق المرتكزات التالية:

الأول) أنّ المسلمين جميعاً مسؤولون أمام الله عن حفظ وجود الأمة وهويتها، والإسلام علّمنا أن نوثّق عُرى الأخوّة بين المسلمين وأن نصلح ذات بينهم، وأمرنا أن نعتصم بحبل الله جميعاً وأن لا نتفـرّق، وبـيّن لنـا أننـا كأعضـاء الجسـد الواحـد، وكالبنيـان المرصوص، وكـراكبي سـفينة واحـدة. فالوحـدة فريضـة يتحمـل أفـراد الأمـة عامـة وقـادة الفكـر والعلمـاء والدارسـون خاصـة مسؤوليتها.

الثاني) أنّ الاخـتلاف الموجـود بعضـه تـاريخي مـوروث لا يَـدَ لنـا فيه، وبعضه ناتج عن اختلافات اجتهاديّة طبيعية ولذلك يجب أن يكـون شـعار المسـلمين هـو أن يتعـاونوا فيمـا اتفقـوا عليـه ويعـذر بعضهم بعضاً فيما اختلفوا فيه.

الثالث) أن يتجنّـب المسـلمون إطـلاق أيّ حكـم بشـأن فرقـة مـن فرق المسلمين دون تروّ و دون دراسة موضوعية لمصادر تلـك الفرقـة، حتّى يكون الحكم عن دراسة وتحقيق وبيّنة، لا عن تعصّب وتقليد.

الرابع) أنّ المشتركات بين المسلمين كثيرة دون شك.. في عبودية الله الواحد الأحد واجتناب الشرك والطاغوت، وفي الإيمان بالأنبياء والرسل وبخاتمهم عليه أفضل الصلاة والسلام، وفي الإيمان بكتاب الله وما جاء فيه والعمل به، وبسنة رسول الله، والإيمان بالحشر والمعاد والحساب، وبالصلوات الخمس نحو قبلة واحدة، وصوم شهر رمضان وحجّ بيت الله الحرام، وفي وجوب أداء أنواع الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وفي وجوب التمسك بفضائل الأخلاق وكريم الصفات، وفي الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي وجوب تحكيم الإسلام في جميع الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية.. وفيما لا يُعدّ ولا يحصى من المشتركات التي تجعل منّا أمّة واحدة مترابطة.

الخامس) أن المسلمين جميعاً أمام عدوّ مشترك واحد. ومع كل الاختلافات الموجودة بين فصائل الكفر والشرك والنفاق، فهي متفقة على تمزيق المسلمين والاستهانة بمقدساتهم وامتهان كراماتهم. وهؤلاء الأعداء لا يميزون في هجومهم بين سنّة وشيعة، بل الإبادة تشتمل المسلمين جميعاً. وهؤلاء هم أنفسهم وراء إثارة النزاعات الطائفية بين المسلمين!!

هذه المرتكزات تنبّه لها المخلصون من علماء السنة والشيعة ومفكريهم فراحوا يعلنون مواقفهم من التفرقة الطائفية ويدعون المسلمين إلى نبذها وهذه طائفة من أقوالهم:

العلامة الجليل المصري الشيخ محمود أبو زهرة من دعاة محو

الطائفية يوضح ذلك بقوله: "ولسنا نقصد بمحو الطائفية محو المذهبية، وإدماج المذاهب الإسلامية في مذهب، فإن ذلك لا يصح ولن يكون عملاً ذا فائدة، لأن إدماج المذاهب في مذهب ليس عملا علمياً يحمد عند العلماء، فإن كلّ مذهب مجموعة من المعلومات أقيمت على مناهج تتّجه في مجموعها إلى النصوص الإسلامية والبناء عليها، وهو ثمراتُ جهود لأكابر العلماء في هذا المذهب وكل إدماج فيه إفناء.. وفوق ذلك فان المذاهب الإسلامية تراث علمي هو للجميع لا لطائفة من الطوائف، ومن المصلحة العلمية الاستحفاظ عليه، وبقاؤه تراثاً خالداً ... هذا وإن إدماج المذاهب بعضها في بعض، فوق أنّه لا يصح أن يكون غاية، هو أمر لا ينالُ، إذ أنّ أساس الإدماج هو الاتفاق على مذهب واحد، وأن الاتفاق في الفروع الفقهية كلها على رأي واحد أمر غير ممكن، بل هو من المستحيل.

وهنا يثور اعتراض يبدو – بادي الرأي – وجيهاً، وهو كيف يمكن محو الطائفية، وبقاء المذاهب التي تحملها هذه الطوائف؟! ونحن في الجواب عن ذلك نقول: إن المذهب ليس ملازماً للطائفة لا يتصوَّر من غير وجودها. فإنّ الطائفة جماعة تتجمع حول مذهب تعتنقه وتدعو إليه، وتعتبر كل جماعة لا تعتنقه ليست منها، أما المذهب فمجموعة علمية تبقى حافظة كيانها ثابتةً، لأنها تراث فكري.. فإذا دعونا إلى محو الطائفية فمعنى ذلك أن لا تكون تلك الجماعة متحركة بوازع طائفي وأن لا تعتبر نفسها

منفصلة عن الأمة الإسلامية".

ثم يذكر الأستاذ أبو زهرة نموذجاً من تجاوز الأطر الطائفية في قانون الأحوال الشخصية المصري ويذكر أنّ هذا القانون لم يتقيّد بمذهب أبي حنيفة بل أخذ بعض أحكام الطلاق والميراث والوصية والوقف من مذهب الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

ويقول الشيخ محمد الغزالي: "ولم تنجُ العقائد من عقبى الاضطراب الذي أصاب سياسة الحكم، ذلك أنّ شهوات الاستعلاء والاستئثار أقحمت فيها ما ليس منها، فإذا المسلمون قسمان كبيران شيعة وسنة، مع أن الفريقين يؤمنان بالله وحده، وبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يزيد أحدهما على الآخر في استجماع عناصر الاعتقاد التي يصلح بها الدين وتلتمس النجاة.. ومع أني أذهب في كثير من أحكامي على الأمور مذاهب غير ما يرى الشيعة فلست أعدُّ رأيي ديناً يأثم المخالف له، وكذلك موقفي بالنسبة لبعض الآراء الفقهية الشائعة بين السنّة.

وعندما ندخل مجال الفقه المقارن ونعيش الشقة التي يحدثها الخلاف الفقهي بين رأى ورأي وبين تصحيح حديث وتضعيفه نجد أن المدى بين الشيعة والسنّة كالمدى بين المذهب الفقهي لأبي حنيفة والمذهب الفقهي لمالك أو الشافعي.. نحن نرى الجميع سواء في نشدان الحقيقة وإن اختلفت الأساليب".

والشيخ محمد شلتوت شيخ الأزهر الكبير أصدر فتواه المعروفة بجواز التعبّد بالمذهب الجعفري إذ قال:

"إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية مذهب يجوز التعبّد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة".

ويقول المرجع الديني الكبير الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء في رسالة وجهها إلى "دار التقريب بين المذاهب الإسلامية" في القاهرة، ونشرتها مجلة "رسالة الإسلام" في عام ١٣٦٩ للهجرة (١٩٥٠م):

"ينبغي أن يكون من المقطوع به أن ليس المرادُ بالتقريب بين المذاهب الإسلامية إزالة أصل الخلاف بينها، بل أقصى المراد وجُلّ الغَرَض هو إزالة أن يكون هذا الخلافُ سبباً للعداء والبغضاء. الغرضُ تبديلُ التباعد والتضارب، بالإخاء والتقارب، فإنّ المسلمين جميعاً مهما اختلفوا في أشياء من الأصول والفروع فإنّهم قد اتفقوا على مضمون الأحاديث المقطوع عندهم بصحتها مِن أنّ مَن شهد الشهادتين واتّخذ الإسلام ديناً له، فقد حرّم دمه وماله وعرضه، والمسلم أخو المسلم، وأنّ من صلّى إلى قبلتنا، وأكل من ذبيحتنا، ولم يتديّن بغير ديننا فهو منّا، له مالنا وعليه ما علينا.

إنّ "جمعية التقريب" لعلّها تقول: المسلمون اتفقوا على أنّ القرآن العزيز وحي من الله جلّ شأنه وأن العمل به واجب، ومنكر كونه وحياً كافر، والقرآن صريح في لزوم الاتفاق والإخاء والنهي عن التفرّق والعداء، وقد جعل المسلمين إخوة فقال عزّ شأنه:

"إنّما المؤمنون إخوة". ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ إلى كثير من أمثالها. بعد كل هذا أيّ عذر لهم في هذا

التباعد والتباغض والعداء؟! وكفى بالقرآن جامعاً لهم مهما بلغ الخلاف بينهم في غيره، فإن رابطة القرآن تجمعهم في كثير من الأصول والفروع، تجمعهم في أشدّ الروابط من التوحيد والنبوة والقبلة وأمثالها من الأركان والدعائم. واختلاف الرأي فيما يستنبط أو يفهم من القرآن في بعض النواحي، اختلاف اجتهادي لا يوجب التباغض والتعادي.

نعم أعظم فرق جوهري، بل لعله الفارق الوحيد بين الطائفتين: السنة، والشيعة، هو قضية الإمامة حيث وقع الفرقتان منها على طرفي الخط، فالشيعة ترى أنّ الامامة أصل من أصول الدين، وهي رديفة التوحيد والنبوة، وأنها منوطة بالنص من الله ورسوله، وليس للأمّة فيها من الرأي والاختيار شيء، كما لا اختيار لهم في النبوة بخلاف إخواننا من أهل السنة، فهم متفقون على عدم كونها من أصول الدين، ومختلفون بين قائل بوجوب نصب الامام على الرعية بالإجماع ونحوه، وبين قائل بأنها قضية سياسية ليست من الدين في شيء لا من أصوله ولا من فروعه. ولكن مع هذا التباعد الشاسع بين الفريقين في هذه القضية، هل تجد الشيعة تقول إنّ من لا يقول بالإمامة غير مسلم؟! كلا ومعاذ الله أو تجد السنة تقول إن القائل بالإمامة خارج عن الإسلام؟! لا و كلا. إذن فالقول بالإمامة وعدمه لا علاقة له بالجامعة الإسلامية وأحكامها من حرمة دم المسلم وعرضه وماله، ووجوب أخوته، وحفظ حرمته، وعدم جواز غيبته، إلى كثير من أمثال ذلك من حقوق المسلم على أخيه.

نعم ونريد أن نكون أشدّ صراحة من ذلك، ولا نبقي ما لعلّه

يعتلج أو يختلج في نفس القراء الكرام. فنقول: لعلّ قائلا يقول إن سبب العداء بين الطائفتين أن الشيعة ترى جواز المسّ من كرامة الخلفاء أو الطعن فيهم، وقد يتجاوز البعضُ إلى السب والقدح مما يسيءُ إلى الفريق الآخر طبعاً ويهيج عواطفهم. فيشتدّ العداءُ والخصومة بينهم.

والجواب إن هذا، لو تبصّرنا قليلا ورجعنا إلى حُكم العقل بل والشرع أيضاً، لم نَجده مقتضياً للعداء أيضاً.

أولا) فليس هذا من رأي جميع الشيعة وإنّما هو رأي فردي من بعضهم، وربما لا يوافق عليه الأكثر، كيف وفي أخبار أئمة الشيعة النهي عن ذلك فلا يصح معاداة الشيعة أجمع لإساءة بعض المتطرّفين منهم.

ثانيا) قد لا يدخل هذا في المعصية أيضاً ولا يوجب فسقاً إذا كان ناشئاً عن اجتهاد واعتقاد، وإن كان خطأ، فإن من المتسالم عليه عند الجميع في باب الاجتهاد أنّ للمخطئ أجراً وللمصيب أجرين. وقد صحّح علماء السنة الحروب التي وقعت بين الصحابة في الصدر الأول كحرب الجمل وصفين وغيرهما، بأن طلحة والزبير ومعاوية اجتهدوا؟ وهم، وإن أخطأوا في اجتهادهم، ولكن لا يقدح ذلك في عدالتهم وعظيم مكانتهم. وإذا كان الاجتهاد يبرّر ولا يستنكر قتل آلاف النفوس من المسلمين وإراقة دمائهم، فبالأولى أن يبرّر ولا يستنكر معه – أي مع الاجتهاد – تجاوز بعض المتطرّفين على تلك المقامات المحترمة.

والغرض من كل هذا أننا مهما تعمّقنا في البحث ومشينا على

ضوء الأدلة عقلية أو شرعيةً وتجرّدنا من الهوى والهوس والعصبيات، فلا نجد أيّ سبب مبرّر للعداء والتضارب بين طوائف المسلمين مهما اتسعت شقة الخلاف بينهم في كثير من المسائل.

هذا كلُّه بالنظر إلى القضية من حيث ذاتها مجردة عن كلّ الملابسات، فكيف إذا نظرنا إليها من حيث ما جرّه هذا الخلاف والعداء من الويلات والبليّات على المسلمين، وما ضاع على أثره من الممالك الإسلامية الكبرى كالأندلس والقوقاز وبخارى ونحوها، ولو أن المسلمين كانوا في تلك الظروف يداً واحداً كما أمرهم الله، لما انتزع من الإسلام شبر واحد. وإذا لم يكفنا عبرة ما سجّله التاريخ من تلك الفجائع فليكفنا ما رأيناه بأعيننا من رزية المسلمين بفلسطين وهي الفردوس الثاني. سبع دول عربية إسلامية كما يزعمون تتغلب عليها عصابة من أذلّ الأمم مشهداً وأقلهم عدداً، ثم يمزّقون تلك الدول شرّ ممزّق يشرّدون تسعمائة ألف مسلم بل أكثر من عرب فلسطين، فيملكون دورهم وقصورهم وأراضيهم وأموالهم، ويضعونهم في البراري والقفار، تحت رحمة الأقدار، يفتك بهم البرد والجوع والمرض، والمسلمون يسرحون ويمرحون لا ينصرونهم إلا بالكلمات الفارغة، والتأوّهات الكاذبة. أما والله لو أن تلك الدول تركت عرب فلسطين يحاربون اليهود بأنفسهم لما استطاع اليهود أن يتغلّبوا على قرية من قراهم أو قطعة من أراضيهم. لم يكتف المسلمون بخذلان إخوانهم وتسليمهم إلى اليهود، بل كانوا ولا يزالون حتى اليوم عوناً لليهود، يساعدونهم

بكل ما في وسعهم من تهريب وغيره، بل يصنعون لليهود مالا يصنع اليهود لأنفسهم، كل ذلك من آثار التقاطع والتخاذل بين المسلمين، فلا جامعة تجمعهم ولا رابطة تربط بعضهم ببعض، وتعطف بعضاً على بعض، لذلك حقّت عليهم كلمة العذاب، ولا يسمع الصمّ الدعاء إذا ولوا مدبرين».

ويقول رائد الصحوة الإسلامية المعاصرة، وداعية التوحيد والوحدة الإمام الخميني رضوان الله عليه:

«إن طرح مسألة تقسيم المسلمين إلى سنّي وشيعي وحنفي وحنبلي واخباري لا معنى لها أساساً.

"المجتمع الذي يريد أفراده جميعاً خدمة الإسلام والعيش تحت ظلال الإسلام لا ينبغي أن يثير هذه المسائل".

"كلنا إخوة وكلّنا نعيش قلبا واحداً، غاية الأمر أنّ الحنفي يعمل بفتاوى علمائه، وهكذا الشافعي، وثمة مجموعة أخرى هي الشيعة تعمل بفتاوى الإمام الصادق، وهذا لا يبرّر وجود الاختلاف، لا ينبغي أن نختلف مع بعضنا، أو أن يكون بيننا تناقض.

كلنا إخوة، على الإخوة الشيعة والسنّة اجتناب كل اختلاف، فالاختلاف بيننا اليوم هو لصالح الذين لا يؤمنون بالسنّة ولا بالشيعة ولا بالمذهب الحنفي ولا بسائر الفرق الإسلامية. وهؤلاء يريدون القضاء على هذا وذاك، فهدفهم بثّ الفرقة بينكم.

عليكم أن تنتبهوا جيداً!! أننا جميعاً مسلمون وأتباع القرآن وأهل التوحيد.. وعلينا أن نسعى من أجل القرآن والتوحيد».

بيان للمسلمين

* عبدالمجيد سليم

• ثمة اختلاف مذموم قائم على أساس التنازع وهناك الاختلاف الطبيعي الذي مبعثه تفاوت العقول والمصالح والروايات • لقد حذّر رسول الله(ص) من التفرّق وأكد على أن المسلمين كالجسد الواحد • أفتيت على أساس المذاهب الأربعة وغير هذه الأربعة مادام دليلها عندي واضحاً .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن الدين الإسلامي قائم على نوعين من الأحكام:

أحدهما: أحكام ثابتة، يجب الإيمان بها، ولا يسوغ الاختلاف فيها وليس من شأنها أن تتغير بتغير الزمان والمكان، ولا أن تخضع لبحث الباحثين، واجتهاد المجتهدين. ذلك بأنها ثابتة عن الله تعالى بطريق يقيني لا يحتمل الشك، واضحة في معانيها، ليس فيها شيء من الإبهام أو الغموض.

والثاني: أحكام اجتهادية نظرية مرتبطة بالمصالح التي تختلف

---

* - الشيخ عبدالمجيد سليم إمام الازهر الشريف الاسبق و وكيل جماعة التقريب.

باختلاف ظروفها وأحوالها، أو راجعة إلى الفهم والاستنباط اللذين يختلفان باختلاف العقول والأفهام، أو واردة بطريق لا يرقى إلى درجة العلم واليقين، ولا يتجاوز مرتبة الظن والرجحان.

والنوع الأول من الأحكام، وهو القطعي في روايته ودلالته ـ هو الأساس الذي أوجب الله على المسلمين أن يبنوا عليه صرح وحدتهم غير متنازعين، وربط به عزهم وقوتهم وهيبتهم في أعين خصومهم والمتربصين بهم. والمسلمون كلهم مؤمنون به إيماناً ثابتاً لا يتزعزع، لا فرق في ذلك بين طائفة منهم وطائفة.

وإن جميع الآيات التي جاءت في النهى عن التفرق، وذم الاختلاف، والتحذير منه، وضرب الأمثال بما كان من الأمم السابقة حين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات، إنما تعني الاختلاف والتفرق في هذا النوع من الأحكام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾، ﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾. ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

فهذا هو الاختلاف المذموم المنهى عنه في كتاب الله تعالى.

أما النوع الثاني من الأحكام، فإن الاختلاف فيه أمر طبيعي، لأن العقول تتفاوت، والمصالح تختلف، والروايات تتعارض، ولا يعقل، في مثل هذا النوع أن يخلو مجتمع من الاختلاف، ويكون جميع أفراده على رأى واحد في جميع شؤونه، وهذا النوع من الاختلاف غير مذموم في الإسلام، ما دام المختلفون مخلصين في بحثهم، باذلين وسعهم في تعرف الحق واستبانته، بل إنه ليترتب عليه كثير من المصالح، وتتسع به دائرة الفكر، ويندفع به كثير من الحرج والعسر، وليس من شأنه أن يفضي، ولا ينبغي أن يفضي، بالمسلمين إلى التنازع والتفرق، ويدفع بهم إلى التقاطع والتنابز.

ولقد كان أصحاب رسول الله (ص) ، والتابعون لهم بإحسان، والأئمة عليهم الرضوان، يختلفون، ويدفع بعضهم حجة بعض، ويجادلون عن آرائهم بالتي هي أحسن، ويدعون إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم نسمع أن أحداً منهم رمى غيره بسوء، أو قذفه ببهتان، ولا أن هذا الاختلاف بينهم كان ذريعة للعدواة والبغضاء، ولا أن آراءهم فيما اختلفوا فيه، قد اتُخِذت من قواعد الإيمان وأصول الشريعة التي يعد مخالفها كافراً أو عاصياً لله تعالى، وقد كانوا يتحامون الخوض في النظريات، وفتح باب الآراء في العقائد وأصول الدين، ويحتمون الاعتصام فيها بالمأثور، سداً لذريعة الفتنة، وحرصاً على وحدة الأمة، وتفرغاً لما فيه عزهم وسعادتهم وارتفاع شأنهم، ولذلك كانوا أقوياء ذوى

عزة ومهابة﴿ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾.

ولكن المسلمين لم يلبثوا أن انحرفوا عن هذه السبيل، واتخذوا من خلافاتهم عصبيات جامدة لا تعرف التفاهم، ولا تنزل على حكم البرهان والعقل، فكانوا باختلافهم المذهبي كالمختلفين في الدين، يتبادلون سوء الظن. ويتراشقون بالتهم جزافاً، وينظر بعضهم إلى بعض في حذر وحيطة، بل أفضى بهم ذلك في كثير من الأحيان إلى التضارب والتقاتل وسفك الدماء، وبذلك انحلت عرى الأمة، وانفصمت وحدتها، وقدر عليها أعداؤها، ونزع الله هيبتها من القلوب، وأصبحت غثاء كغثاء السيل، وانقلب الخلاف الذي كان رحمة ونعمة، إلى بلاء وشر وفتنة، وصار مثله كمثل الخلاف في الأصول، والنزاع على الأسس الأولى للإيمان.

ولقد كان رسول الله (ص) يخشى هذا التفرق، ويحذّر منه، وكان يشبه المؤمنين بالجسد الواحد. ولم يكن شيء أبغض إليه بعد الكفر بالله من الاختلاف والتنازع ولو في الأمور العادية.

إن هذه الأمة لن تصلح إلا إذا تخلّصت من هذه الفرقة، واتّحدت حول أصول الدين، وحقائق الإيمان، ووسعت صدرها فيما وراء ذلك للخلافات ما دام الحكم فيها للحجة والبرهان.

ولقد أدركنا في الأزهر على أيام طلبنا العلم، عهد الانقسام والتعصب للمذاهب ولكن الله أراد أن نحيا حتى نشهد زوال هذا العهد، وتَطهُّرَ الأزهر من أوبائه وأوضاره، فأصبحنا نرى الحنفي

والشافعي والمالكي والحنبلي، إخوانا متصافين وجهتهم الحق، وشرعتهم الدليل، بل أصبحنا نرى بين العلماء من يخالف مذهبه الذي درج عليه، في أحكامه لقيام الدليل عنده على خلافه، وقد جريت طول مدة قيامي بالإفتاء في الحكومة والأزهر، وهي أكثر من عشرين عاماً، على تلقي المذاهب الإسلامية، ولو من غير الأربعة المشهورة، بالقبول، ما دام دليلها عندي واضحاً، وبرهانها لديّ راجحاً، مع أنني حنفي المذهب، كما جريت وجرى غيري من العلماء، على مثل ذلك فيما اشتركنا في وضعه أو الإفتاء فيه من قوانين الأحوال الشخصية في مصر. مع أن المذهب الرسمي فيها هو المذهب الحنفي. وعلى هذه الطريقة نفسها تسير «لجنة الفتوى بالأزهر» التي أتشرف برياستها. وهي تضم طائفة من علماء المذاهب الأربعة.

فإذا كان الله قد برّأ المسلمين من هذه النعرة المذهبية التي كانت تسيطر عليهم إلى عهد قريب في أمر الفقه الإسلامي، فإنا لنرجو أن يزيل ما بقي بين طوائف المسلمين من فرقة ونزاع في الأمور التي لم يقم عليها برهان قاطع يفيد العلم. حتى يعودوا كما كانوا أمة واحدة، ويسلكوا سبيل سلفهم الصالح في التفرغ لما فيه عزتهم، وبذل الوسع فيما يعلي شأنهم. والله الهادي إلى سواء السبيل. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

معالم مدرسة الشهيد الصدر

ضياء الدين أحمد *

• تفكير الشهيد الصدر توجّه نحو معالجة قضايا الأمة المصيرية •أبرز السيد الصدر العقيدة الإسلامية في صورة شعلة متقدة مضيئة محرّكة • الصدر أسس لعلم كلام إسلامي جديد • أنجز السيد الصدر منهجاً مبتكراً في التفسير الموضوعي • استوعب السيد الفكر الأصولي الذي سبقه ثم قام بعملية مراجعة وتقويم له وابتكار فيه • ولادة "المذهب الذاتي للمعرفة" على يد الشهيد الصدر من أعظم مكتسبات المعقول الإسلامي في العصر الحديث.

تعرض الفكر الإسلامي الحديث لشيء من الاضطراب في الرؤية ولا سيّما ذلك الفكر الذي ظهر في النصف الأول من القرن العشرين، بعد هيمنة روح الانهيار أمام التطور العلمي والتقني للغرب، فتمحورت جهود الإسلاميين على تبرير المفاهيم الإسلامية، بالاستناد إلى النظريات والفرضيات المتداولة في الفكر الغربي، وشاعت وقتئذ نزعة تلفيقية راحت تمزج بين العناصر المحلية والعناصر المستعارة من البيئة الأوربية، غير أن هذه المرحلة لم تستمر بعد أن بزغ في سماء الفكر الإسلامي مفكرون روّاد أعادوا للعقل المسلم أصالته واستلهموا المقومات الذاتية للإسلام المتمثلة

* - باحث عراقي.

بالقرآن الكريم والسنة الشريفة والتراث الإسلامي، ولم ينكفئوا على الذات، وإنما سعوا للاستضاءة بالقوانين العلمية الحديثة حيثما لزم ذلك. وكان الشهيد الصدر أحد هؤلاء المفكرين الذين اتسم تفكيرهم بالأصالة والعودة إلى الجذور، وتميز انتاجهم باعادة بناء العلوم الإسلامية.

وفي الوقت نفسه تجاوز هذا التفكير السطحية وحالة التبسيط الساذجة التي طفحت في كتابات عديدة للإسلاميين، فتوغّل تفكير الشهيد الصدر بعمق في دراسة مشكلات الأمة واستكناه الأسباب الكامنة وراءها، وراح يقرأ التراث والنصوص المقدسة قراءة معمّقة متأنّية تغور في مداراتها القصيّة فتقتنص رؤى جديدة مبتكرة تحاكي متطلبات العصر ومقتضيات الزمان.

مضافاً إلى سعيه الحثيث لوصل الفكر بالواقع وتجسير الهوة العميقة بين تعاليم الإسلام وسلوك المسلمين التي نجمت بسبب حالة الفصام النكد بين العلوم الإسلامية وحياة الناس، لما أضحت أصول الدين مجرّد مفاهيم ميتافيزيقية محنطّة منفصلة عن الحياة، فعمل الشهيد الصدر على استكشاف الأبعاد الاجتماعية لأصول الدين، وبرهن على "أن المعنى الحقيقي للإيمان ليس هو العقيدة المحنّطة في القلب، بل الشعلة الحثيثة التي تتقد وتشع بضوئها على الآخرين" وشدد على تظهير البعد الثوري لأصول الدين وشجب المحاولات التي تحنط الإيمان، والتي تصيّر المعتقدات حقائق ميتافيزيقية مجردة بعيدة عن الواقع، وإذا ما

تجلّت في الواقع فإنها تختزل الإيمان بطقوس فحسب، وأراد لإيمان المسلم أن يتحول من طاقة كامنة إلى طاقة متحررة، توقظ المسلم وتبعث في روحه فعالية متوثّبة، وتنتشله من حالة التخلّف والضياع، وتسوقه نحو المقاومة والتحدّي، وتعيد له الثقة بنفسه وهويته وأرضه وترابه.

وبغية توظيف الفكر في خدمة قضايا الإنسان هبط الشهيد الصدر بالفلسفة من طابعها التجريدي النظري البحت وحاول أن يبرز ارتباطها بالحياة الاجتماعية، وهذا ما نلاحظه بوضوح في كتاب "فلسفتنا" الذي كان أول عمل مهم له نشره سنة ١٩٥٩، فإنه مهدَّ لهذا الكتاب الفلسفي ببحث تحليلي واسع في تفسير المشكلة الاجتماعية، حلّل فيه هذه المشكلة وأسبابها وتحدث عن الإجابات والحلول التي ساقها الإنسان في طوال تاريخه لها وإخفاق هذه الحلول ثم انتهى للحديث عن التعليل الصحيح للمشكلة الاجتماعية الذي يقدمه الدين، وبيان حل الإسلام لهذه المشكلة. وهي المرة الأولى فيما نعلم التي يفتتح فيها مؤلف فلسفي إسلامي بحث المسألة الاجتماعية وجعل هذه المسألة مدخلاً للبحث الفلسفي.

نماذج من إبداع الشهيد الصدر

تعدد إبداع الشهيد الصدر بتعدد الحقول التي كتب فيها، ومع أن هذه الحقول امتدت لتشمل غير واحد من المعارف الإسلامية،

فإن إبداعه تجلّى في سائر مؤلفاته، ففي كل واحد منها نلتقي بابتكار يصلح أن يطور كمنهج للبحث في ذلك الموضوع. وإن كنا لا نزعم أنه جاء بجديد في تمام ما كتب، لأنه ليس هناك مبدع أو مفكر يبدأ في كل ميدان ببداية جديدة، وإنما المبدع هو الذي يستأنف المشوار الذي تراكمت في مساره جهود الآخرين، وهو عندما يواصل، فتارة يقدم تفسيراً جديداً لبعض المفاهيم والمقولات الموروثة، وأخرى يعيد بناء وترميم بعضها الآخر، وثالثة يتوسل لبيانها وتحليلها ببراهين وأساليب مختلفة، ورابعة يلتقط لمعات واضاءات متناثرة، فينظمها ويؤلف منها منظومة واحدة متماسكة، وخامسة ربما يبتكر طريقة جديدة في التفكير يفضي عبرها إلى نتائج مغايرة لما ألفه السلف، والأخيرة أعمق تجليات الإبداع. ويمكن القول ان الشهيد الصدر تحقق إبداعه في سائر هذه المناشط الخمسة، غير أن الحديث عن ذلك لا تتسع له هذه المقالة السريعة، مع أن ذلك لا يمنعنا من إشارات محدودة لشيء من ذلك عبر نقاط، هي:

١. إبداعه في علم الكلام:

منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر تنادت صيحات في العالم الإسلامي تدعو إلى إعادة النظر في علم الكلام، وإعادة صياغة علوم العقيدة، وكان السيد جمال الدين الأسد آبادي المعروف بالأفغاني أول من أطلق تلك الصيحات ثم واكب صداه

بعض تلامذته ومن جاء بعدهم، ولعل أوضح صياغة لهذه المسألة هي ما أفصحت عنها كتابات عبد الرحمن الكواكبي، فهو وإن لم يكن قد تتلمذ مباشرة على السيد جمال الدين، بيد أن دعوة الأخير عبّر عنها الكواكبي أفصح تعبير بينما طمسها محمد رشيد رضا. ولم تتبلور صياغة نظرية ناضجة في هذا المضمار إلا في مطلع العقد السادس من القرن العشرين على يد العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، ثم تلاه ببضع سنوات الشهيد الصدر الذي فُتحت على يديه معالم نظرية أخرى لصياغة "علم كلام جديد" مضافاً إلى ممارسته تجربة تطبيقية في تشكيل علم الكلام الجديد في مقدمته المبتكرة للفتاوى الواضحة التي عمد فيها إلى استبعاد المنهج المتداول في علم الكلام التقليدي في الاستدلال على أصول الدين، لأن ذلك الاستدلال كان مبنياً على منهج بعيد عن الحياة اليومية وما تزخر به من استدلالات كثيرة يسوقها الإنسان كل حين لإثبات العديد من الحقائق في سلوكه العام أو في تفكيره العلمي، فكانت الحاجة ماسة إلى أن يكون "منهج الاستدلال على وجود الصانع الحكيم هو المنهج الذي نستخدمه عادة لإثبات حقائق الحياة اليومية والحقائق العلمية، فما دمنا نثق به لإثبات هذه الحقائق فمن الضروري أن نثق به بصورة مماثلة لإثبات الصانع الحكيم الذي هو أساس تلك الحقائق جميعاً".

كما أن مشروع الشهيد الصدر في إعادة تشكيل علم الكلام انصب على تجديد فاعلية الإيمان، عبر دعوة المسلم إلى إعادة بناء حياته الاجتماعية على أساس التوحيد، بنحو يتحرر فيه التوحيد من كونه فكرة مجردة لا حياة فيها أو تجربة باطنية لا تمت إلى الواقع الاجتماعي بصلة، إلى فكرة قابلة للتنفيذ، فالرؤية التوحيدية في فكر الشهيد الصدر تستند إلى مجموعة أصول مركزية يؤدي بعضها للبعض الأخر، وتتواشج مع أبعاد أخرى تنبثق عنها أو تلتقي بها في منظومة واحدة، تعود فيها الفروع بتمامها إلى التوحيد، بحيث يكون التوحيد هو المنبع الذي تتفرع عنه تلك الأصول، وتتجسد فيه تلك الأبعاد.

٢ - إبداعه في التفسير:

ظل المنهج التجزيئي هو المنهج السائد لدى المفسرين منذ ولادة هذا الفن في القرن الأول الهجري، غير أن التطور الجديد في بنية المجتمع والدولة أضحى يتطلب إرساء أسس منهج جديد في التفسير يستجيب للمستجدات الفكرية والحياتية، ويتجاوز الرؤية المشتتة للحقائق القرآنية، ويعيد نظمها في إطار نظرية موحدة، لأن الفهم التجزيئي للآيات كان "يقف دائماً عند حدود فهم هذا الجزء أو ذاك من النص القرآني ولا يتجاوز ذلك غالباً، وحصيلة تفسير تجزيئي للقرآن تساوي على أفضل تقدير مجموعة مدلولات القرآن الكريم ملحوظة بنظرة تجزيئية أيضاً، أي أنه سوف نحصل على عدد كبير من المعارف والمدلولات القرآنية،

ولكن في حالة تناثر وتراكم عددي دون أن نكتشف أوجه الارتباط، ودون أن نكتشف التركيب العضوي لهذه المجاميع من الأفكار، ودون أن نحدد في نهاية المطاف نظرية قرآنية لكل مجال من مجالات الحياة".

ولو أردنا أن نؤرخ لحظة ولادة هذا اللون من التفسير، فسنجد أن المرحوم الدكتور محمد عبدالله درّاز هو صاحب المحاولة التطبيقية الأولى، إذا اختار لأطروحة الدكتوراه التي قدّمها بالفرنسية من باريس، دراسة النظرية الأخلاقية في القرآن مقارنة بالنظريات الأوربية، واصطلح على المنهج الذي اتبعه في تدوين هذه الأطروحة "النظام المنطقي" وهو ما يوازي مصطلح "التفسير الموضوعي" عند الشهيد الصدر.

لكن انجاز الشهيد الصدر برز في صياغة نظرية ذات إطار منهجي محدد لهذا اللون من التفسير، ثم ممارسة تطبيقات نموذجية لها بعد الفراغ من بنائها، وبوسعنا القول إنها المرة الأولى التي تتشكل فيها أسس وملامح واضحة لهذه الطريقة في التفسير، تبتعد فيها عن الفوضى المنهجية التي تخبط فيها كل من يجمع بضعة آيات ثم يجمع تفسيرها تجميعاً كمياً فيصطلح على محاولته خطأ "التفسير الموضوعي".

٣ - إبداعه في أصول الفقه:

أصول الفقه من العلوم التي ابتكرها المسلمون، ولم يحاكوا بها العلوم في حضارات أخرى، وكأي فن بدأ هذا العلم بداية

بسيطة ثم ما فتئ أن نما وتطور واستطال أفقياً ورأسياً، وأدّى إقفال باب الاجتهاد عند المذاهب الأربعة إلى توقف تطور هذا العلم، بينما واصل مساره التكاملي في الحواضر العلمية لمدرسة أهل البيت(ع)، خاصة منذ القرن الثالث عشر الهجري أي منذ عصر الشيخ الأنصاري الذي اعتبره الشهيد الصدر رائداً لأرقى مرحلة من مراحل العصر الثالث، وهو عصر الكمال العلمي، وهي المرحلة التي يتمثل فيها الفكر العلمي منذ أكثر من مائة سنة حتى اليوم، وبعد الشيخ الأنصاري واصل مساره تلامذته الذين تميّز منهم الشيخ الآخوند الخراساني والميرزا محمد حسن الشيرازي، ثم جاء بعد الخراساني تلامذته الثلاثة، وهم الشيخ محمد حسين الأصفهاني والشيخ محمد حسين النائيني والشيخ آقا ضياء العراقي، الذين برعوا في أصول الفقه وساهم كل واحد منهم بآراء ونظريات مهمة فيه. وكان الشهيد الصدر تلميذاً للسيد الخوئي الذي هو تلميذ هؤلاء الاعلام الثلاثة، فبدأ باستيعاب تراث أسلافه، ثم انتقل إلى مرحلة المراجعة والتقويم لهذا التراث، والتي قادته للابتكار، وفيما يلي تعداد عاجل لبعض عناوين إبداعاته:

أ - نظريته الجديدة في تفسير الأحكام الظاهرية بأنها:

❖ - نعتذر للقارئ الكريم لدخول المقال في مصطلحات تخصّصية قد لا تكون مفهومة للجميع (التحرير).

"خطابات تعيّن الأهم من الملاكات والمبادئ الواقعية حين يتطلب كل نوع منها الحفاظ عليه بنحو ينافي ما يضمن به الحفاظ على النوع الآخر".

هذه النظرية وظفها في حَلّ غير واحدة من الإشكالات، والتي من أبرزها كيفية الجمع بين الحكم الواقعي والظاهري، على أساس بيان نوع آخر من التزاحم وهو "التزاحم الحفظي" في مقام حفظ ملاكات الاحكام الواقعية في صورة شك المكلف.

ب – صياغة نظرية محددة المعالم في سيرة المتشرعة وسيرة العقلاء:

بينما كان المشهور من الأصوليين ببحثها استطراداً في سياق مباحث أخرى من دون أن يُكتشف أسسها وحدودها.

جـ – نظرية التعويض:

وهي نظرية تتصل بالبحث الرجالي، غير أنه بحثها في علم الأصول في مبحث حجية خبر الواحد، وتعني هذه النظرية إمكانية تعويض المقطع الضعيف من السند ـ في بعض الحالات ـ بمقطع آخر، وبحسب تعريف الشهيد الصدر "هي فرض التصرف في السند إما باعتبار المقطع الأول بما فيه من نقطة الضعف، أو باعتبار المقطع الثاني بما فيه من نقطة الضعف، أو باعتبار تمام السند واستبداله بسند آخر".

د – صياغة نظرية "حق الطاعة":

في مقابل نظرية "قبح العقاب بلا بيان" التي تبناها مشهور الأصوليين، وذلك على أساس ما انتهى إليه في مبحث "حجية القطع" وكيف أن هذه الحجية ترتبط إثباتاً ونفياً بمولوية المولى وليس بذات القطع بما هو قطع.

هـ - نظرية القرن الأكيد في الوضع:

وهي النظرية التي فسّر فيها العُلقة الوضعية بين الألفاظ والمعاني وكيفية دلالة اللفظ على المعنى، باعتبار "أن الوضع قرن مخصوص بين تصور اللفظ وتصور المعنى بنحو أكيد، لكي يستتبع حالة إثارة أحدهما للآخر في الذهن".

و - إبطال حكومة الأصول بعضها على بعض حينما تكون متوافقة في النتيجة، كحكومة استصحاب الطهارة على قاعدة الطهارة.

ز - إمكان ورود الترخيص في جميع أطراف العلم الإجمالي:

مضافاً إلى تحقيقات أخرى في مورد العلم الإجمالي، مثل عدم جريان أصالة الطهارة في ملاقي بعض أطراف الشبهة المحصورة.

بقي أن نشير إلى أن البحث الفقهي وطأ أرضاً بكراً على يد الشهيد الصدر، حينما تحركت عملية الاستدلال لديه نحو فقه النظرية، فارتقت عملية الاستنباط نحو ذرى لم تدركها من قبل من لدن الفقهاء السابقين، وهذا ما نراه في الجزء الثاني من كتاب "اقتصادنا" الذي صاغ فيه نظرية الإسلام في الاقتصاد: و"البنك اللاربوي في الإسلام" الذي بلور فيه نظرية الإسلام في

المعاملات المصرفية".

٤ - إبداعه في الفلسفة والمنطق:

في مطلع العقد الثاني من حياته، ألف الشهيد الصدر "رسالة في المنطق" وهو لما يتجاوز الحادية عشرة من عمره، أورد فيها مجموعة اعتراضات على المسائل المنطقية.

وبعد عدة سنوات من التحاقه بالحوزة العلمية في النجف أشار عليه أستاذه السيد الخوئي أن يدرس الفلسفة الإسلامية بالشكل المتعارف في الحوزة، وطلب من الشيخ صدرا البادكوبي أن يعقد للشهيد الصدر حلقة خاصة يدرّسه فيها كتاب "الإسفار الأربعة" لصدر الدين الشيرازي، فاستجاب الشيخ البادكوبي، وانعقدت الحلقة واستمرت خمس سنوات كما قيل. ولم تنشأ رغبة أستاذه السيد الخوئي هذه من الارتياب في موهبة تلميذه الصدر العقلية المتوهّجة، ولا من شكه في قابليته ونبوغه في استيعاب آراء الفلاسفة وفهمها، وإنما نشأ ذلك من اهتمام الأستاذ بمكانة تلميذه وحماية موقعه العلمي، لأن التقاليد المتعارفة في الحوزة تستهجن تعاطي أي فن والتأليف فيه من دون الانتساب إلى أستاذ معروف، ولاسيما إن كان ذلك الفن من فنون المعقول.

أما أسلوب الشهيد الصدر في دراسة الأسفار، فإنه حسب قول الشيخ البادكوبي "اشترط عليّ أن لا يتابعني في التدريس الرتيب لهذا الكتاب، بل طلب مني أن يقرأ عليّ كل يوم صفحات من هذا

الكتاب، ويسألني عما أشكل عليه فقبلت، وأنهى دراسته للكتاب بسرعة على هذا الشكل" والملاحظة الأساسية التي كان يبديها الشهيد الصدر على أسلوب أستاذه البادكوبي: أن الشيخ كان يقوم ببيان وتفسير الأفكار والآراء الواردة في (الاسفار) من دون أن يمارس تقويمها ونقدها.

ويبدو أن الأسلوب التحليلي النقدي في دراسة العلوم، الذي يعتمد على "إن قلتَ قلتُ" هو السمة الغالبة بالنسبة للدرس الفلسفي وسائر مناشط الدرس العقلي والشرعي الأخرى في الحوزة، بيد أن هذا الأسلوب اضمحل بالتدريج بالنسبة إلى دراسة المعقول والفلسفة بالذات، خاصة في العقود الأخيرة في النجف بعد أن هيمنت آراء صدر الدين الشيرازي على تفكير أساتذة الفلسفة وتلامذتهم، فأصبح هؤلاء الأساتذة ليس إلا معلّمين يمارسون المنهج التلقيني في تعليم الفلسفة من دون تقويم ومحاكمة.

وفي منتصف العقد الثالث من عمره اتجه لتأليف كتاب "فلسفتنا" التي واكب فيها مسار الفلسفة الأوربية برحلة نقدية منذ العصر الإغريقي حتى بداية القرن العشرين، ولاسيما اتجاهاتها المادية التي تبلورت في "المادية الجدلية" لكارل ماركس. وشاء الله أن يكون كتاب "فلسفتنا" أشحذ سلاح معرفي تمنطق به الإسلاميون في منازلتهم للتيار الإلحادي الذي بات يجتاح البلاد العربية والعراق منها بالذات. من هنا طارت شهرة هذا الكتاب في

الآفاق، وظل أهم كتاب ألف باللغة العربية في نقد أسس المادية الجدلية إلى اليوم.

وفي العقد الرابع افتتح الشهيد الصدر حقلاً آخر في البحث العقلي لما اتجه لدراسة الأساس المنطقي لتكوين العلم، و"انكب على دراسة البرهان الأرسطي، واطلع باستيعاب وعمق على نظريات المنطق الحديث في الاستقراء وأساسه المنطقي (حساب الاحتمال) فأوضح خلال (الأسس المنطقية للاستقراء) تهافت نظرية البرهان الأرسطية، كما عالج ينبوع أخطاء التفكير الغربي في تفسيره لنظرية الاحتمال، وقدّم بالتالي نظرية متكاملة في تفسير حساب الاحتمال، أقام على أساسها بناء متكاملاً لفهم جديد لنظرية المعرفة البشرية بكامل تفاصيلها، فثار على أرسطو في بيئة تقدس نظرية القياس الأرسطية، وهضم قمة الإنتاج الغربي، واقفاً على نقاط الضعف في تفكير أساتذة المنطق الحديث أمثال رسل وكينز، وأعطى للبشرية طرازاً جديداً من التفكير" غير ما كان معروفاً بين المذهبين العقلي والتجريبي، ويمكن القول إن ولادة هذا المذهب الذي أسماه الشهيد الصدر بـ"المذهب الذاتي للمعرفة" يعد واحداً من أعظم مكتسبات المعقول الإسلامي في العصر الحديث.

التعاون الفكري والثقافي على صعيد الأمة الإسلامية

صالح بن سليمان الوهيبي *

• العلم فريضة وخاصة ما ينهض بالأمة كلها ويجعلها في الصدارة

• من أهم نشاطات منظمة الإيسيسكو وضع خطط للنهوض بالأمة

• ومن مهامها السعي لرسم الإطار الفكري الإسلامي الصحيح لنهضة الأمة

الجمعيات الخيرية الإسلامية تتعرّض لضغوط الغرب وتحتاج من العالم الإسلامي أن ينسّق معها؟

الأمة الإسلامية أمة عِلم، وقد خاطب الله تعالى رسوله (ص) بداية الوحي بسورة «اقرأ» دلالة على أهمية العلم، وبخاصة منه ما يتعلق بالعلم بالله وأسمائه وصفاته، وآلائه ونعمه، وسننه الكونية، وتاريخ الأمم، وسنن الله تعالى فيها، وما ينهض بالأمة كلها ويجعلها في الصدارة، كما أن الأمة الإسلامية أمة دعوة، وعلى كل فرد فيها واجبه في الدعوة إلى الخير، ونشر الفضيلة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالكلمة الصادقة، والقدوة الحسنة. وكل هذه الأمور تحتاج إلى علم، ولذلك فقد جاءت

* - الأستاذ الدكتور صالح بن سليمان الوهيبي، الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي. والمقال يتضمن الحديث عن منظمات عالمية أيضاً، ونكتفي هنا بما ذكر على صعيد العالم الإسلامي.

النصوص الشرعية في الحث على التعلّم والتعليم، ورتّب الشارع الحكيم على ذلك أعظم الأجور، لما للعلم من أهمية وما له من فضل، وبقدر ما يكون عند الأمم من علم وبقدر ما لها من اهتمام بالثقافة يكون موقعها بين الأمم قوة وضعفاً وتقدّماً وتأخّراً.

ولذلك فقد أدركت دول العالم الحديث أهمية العلوم فأولتها اهتماماً بالغاً وسعت لتأسيس منظمات دولية ذات شخصيات اعتبارية لتعليم العلم، ونشر الثقافة بغية التقريب بين الدول وتنظيم العلاقات الدولية والحضارية بين دول العالم وإن كانت تلك الدول في الغالب تفرض ثقافتها من خلال تلك المنظمات....

منظمة المؤتمر الإسلامي:

ترتبط بمنظمة المؤتمر الإسلامي المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) التي أُنشئت تجاوباً مع توصية المؤتمر الدولي الأول عن التعليم الإسلامي الذي عُقد في مكة المكرمة برعاية جامعة الملك عبد العزيز في جدة، وأنشأها المؤتمر الحادي عشر لوزراء الخارجية عام ١٤٤٠هـ.

وتهدف المنظمة إلى تقوية التعاون بين الدول الأعضاء في البحث التعليمي والثقافي، ولجعل الثقافة الإسلامية محوراً للمنهج التعليمي في البلدان الأعضاء، وتعتزم المنظمة دعم الثقافة الإسلامية الأصيلة وحماية استقلال الفكر الإسلامي من عوامل الغزو الثقافي والمسخ والتشويه، وتسعى كذلك إلى

تشجيع التعاون بين الدول الأعضاء في البحث العلمي، وإلى تطوير العلوم التطبيقية والتقنية المتقدمة داخل إطار القيم والمثل الإسلامية الثابتة، كما تقترح المحافظة على معالم الحضارة الإسلامية وحماية الشخصية الإسلامية في البلدان غير الأعضاء.

وتعمل المنظمة على التنسيق بين المؤسسات المتخصّصة داخل المنظمة والمختصّة بالتربية والعلوم والثقافة؛ وهي تهدف بذلك إلى تشجيع التفاهم بين الشعوب والمساهمة في المحافظة على السلم والأمن في العالم.

كما تعمل لتطبيق المنهج التعليمي المشترك المبني على التعاليم الإسلامية في كل البلدان الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي.

وقد وضعت المنظمة خططاً لإنشاء عدد من الجامعات والمراكز الإسلامية في أماكن مختلفة من العالم، وتخطّط المنظمة لجعل العربية لغة حيّة بين كلّ المسلمين.

(منظمة المؤتمر الإسلامي، د. عبد الله الأحسن، ص ٢٢٠)

ومما سبق فإنه يمكن تلخيص أهم نشاطات الإيسيسكو فيما يأتي:

أ - وضع خطط للنهوض بالأمة.

ب – وضع مقررات دراسية.

ج – نشر تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية.

د – نشر الخط العربي.

هـ - الدفاع عن الإسلام والمسلمين.

و – بناء المدارس والمراكز الإسلامية.

وهناك استراتيجيات نافعة قدمتها الإيسيسكو مثل:

إستراتيجية تطوير التربية في البلاد الإسلامية، والاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي، واستراتيجية تطوير العلوم والتكنولوجيا في البلدان الإسلامية، واستراتيجية العمل الثقافي الإسلامي في الغرب.

٤ - كما أن هناك نشاطات لجمعيات إسلامية أخرى في مجالات الثقافة مثل:

ـ دعم الجهود الموجهة نحو وضع مناهج متقاربة لجميع المسلمين، ومتوحّدة في توجّهها العقدي والفكري والسلوكي. وقد كان للندوة العالمية جهود موفقة في ذلك، وكذلك الداعية يوسف إسلام من خلال مؤسسته الخيرية.

ـ وضع مشروعات لتعليم اللغة العربية، مثل مشروع «العربية بين يديك» سلسلة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، قامت به مؤسسة الوقف الإسلامي، وهو مشروع مبارك يهدف إلى نشر العربية ودعم مؤسساتها في كل مكان باستخدام الوسائل العلمية والفنية الممكنة، ويحتوي المشروع على منهج شامل لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، يبدأ مع الدارس من نقطة الصفر، ويستمر معه حتى يجيد العربية إجادة تمكّنه من الالتحاق بالجامعة ومواصلة دراسته باللغة العربية، بالإضافة إلى

سعي المشروع لتوطين اللغة العربية في البلدان المختلفة ليتمكن المسلمون من فهم دينهم وعبادة ربهم على الوجه الأكمل. (العربية بين يديك، مطوية تعريفية بالمشروع، ص١) .

ـ السعي لرسم الإطار الفكري الإسلامي الصحيح للوحدة الإسلامية ومن ذلك ما قام به الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية (IIFSO)، فقد تبنّى طرح إطار فكري للوحدة الإسلامية، وتقوية الروابط الأخوية، وتبنّي قضايا العالم الإسلامي، ودعم جميع الحركات الإسلامية، متّخذاً من قول الحق تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾، شعاراً له. وعمل على بثّ الوعي الإسلامي من خلال اختيار عدد من الكتب في مختلف الموضوعات الإسلامية وترجمتها إلى قرابة ١٠٠ لغة.

ـ إنشاء ودعم المشروعات التعليمية مثل المدارس والمعاهد والكليات والجامعات ومراكز التدريب وخاصة في المناطق الإسلامية الفقيرة، ومناطق الأقليات المسلمة. وتزويدها بالمناهج العلمية الجيدة، وهذا ما يتيح فرصاً تعليمية كبيرة.

ـ المنح الدراسية: للطلاب النابغين الذين تعوقهم ظروفهم الحياتية عن إكمال دراستهم، ويرجى منهم نفع الأمة المسلمة بما لديهم من ذكاء وفطنة، وما يتعلّمونه من علوم يحتاج إليها المسلمون.

ـ المساعدات الطلابية: للطلاب الفقراء الذين حصلوا على مقاعد دراسية، ولكن ظروفهم المادية قاسية، مع الحرص على

إقامة ملتقيات لهم ومراكز تربوية تهدف إلى رعايتهم وتربيتهم.

ـ توزيع المصاحف والكتب والمطبوعات بشتى اللغات، وإصدار المجلات والصحف.

وهذه النشاطات تقدمها غالبية المنظمات الإسلامية مثل الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ومؤسسة الوقف الإسلامي، والمنتدى الإسلامي، ومؤسسة الحرمين الخيرية، ورابطة العالم الإسلامي، وغيرها.

ومع تلك الجهود المبذولة فإن الطريق أمام الجمعيات الخيرية الإسلامية ما يزال طويلاً، والعمل أكثر من أن تعطي حاجاته ميزانيات الجمعيات الإسلامية الخيرية وإمكاناتها، خاصةً في هذا الوقت الذي تضاعفت فيه الضغوط على تلك الجمعيات، وتمّ مراقبة نشاطاتها وعرقلة سيرها في بلدان العالم، مع أن الطريق ممهّدة أمام المنظمات العالمية الغربية، ولذلك فإننا نحن المسلمين وبالأخص الجمعيات الخيرية بحاجة إلى التنسيق مع تلك المنظمات والعمل من خلالها وتحت مظلّتها إذا لزم الأمر، والاستفادة مما تقدّمه من تسهيلات مع السعي لتلافي الخلل الموجود فيها والعمل على إصلاحه.

الإصلاح الثقافي
معناه — محاوره

زكي الميلاد *

• الإصلاح الثقافي يهتم بإصلاح شبكة التصورات الذهنية • كل خلل في هذه الشبكة يؤثر على التوازن الداخلي للمجتمع • محمد عبده ركز على تحرير الفكر من قيد التقليد • محمد إقبال دعا إلى تجديد الفكر الديني • مالك بن نبي أبرز دور الأفكار • محمد باقر قدّم المنظومة الإسلامية للكون والحياة

الإصلاح التشريعي مجاله القوانين والتشريعات، والإصلاح السياسي مجاله النظم والمؤسسات، والإصلاح الاجتماعي مجاله العلاقات وشبكة التواصلات بين الناس، أما الإصلاح الثقافي فإن مجاله عالم الأفكار وشبكة التصورات الذهنية. والحاجة إلى الإصلاح، تنشأ من وجود خلل أو اعوجاج أو فساد، تتّحدد صفته وهويته بحسب المجال الذي يتّصل به وينتسب إليه. فالإصلاح الاجتماعي مثلاً، يكون ناظراً لوجود خلل أو اعوجاج أو فساد في شبكة التواصلات التي تنظم أنماط وصور العلاقات والتفاعلات بين الناس، وهكذا الإصلاح الثقافي الذي يكون ناظراً لوجود خلل أو اعوجاج أو فساد في شبكة التصورات الذهنية، وهي الشبكة التي

* - باحث من المملكة العربية السعودية، رئيس تحرير «الكلمة».

يمارس الناس من خلالها تأملاتهم وتأويلاتهم، وتحدّد لهم معاييرهم الجمالية والتفاضلية، وتلبي لهم متطلباتهم الثقافية والمعنوية.

وتكون هذه الشبكة كما يصطلح علماء الأنثروبولوجيا بمثابة النموذج القياسي، الذي على أساسه تتّحدد المعايير الجمالية بين الناس، في إطار المجتمع الواحد، أو تكون هذه الشبكة كما يصطلح علماء الاجتماع بمثابة البنية النسقية، التي يتوحد ويتماسك المجتمع على أساسها ثقافياً.

وعن طريق هذه الشبكة من التصورات الذهنية يكوّن المجتمع المفهوم الكلي عن نفسه، ويكوّن رؤيته ناظراً ومنظوراً إليه، وهكذا رؤيته إلى العالم. ويتصل المجتمع ويتفاعل مع هذه الشبكة من التصورات الذهنية، بواسطة مجموعة من الرموز والدلالات والإشارات والتمثلات، التي بدورها تتماسك وتترسخ عن طريق ممارستها وحمايتها والدفاع عنها، في ظل اتصالها وتفاعلها بفيض لا يتوقف من الأحداث والمواقف المتغيرة والمتعدّدة الاتجاهات والأبعاد، الاتصال والتفاعل الذي يتقادم عليه الزمن لفترة طويلة حتى تصل إلى درجة تصبح فيه شبكة التصورات الذهنية جزءاً لا ينفك ولا ينفصل عن واقع وممارسة الحياة، وعن الروح العامة للمجتمع. من هنا ندرك حساسية وخطورة ما يمكن أن تتعرض له شبكة التصورات الذهنية من خلل واعوجاج أو فساد، وهي الحالات

التي تؤثر على التوازنات الداخلية للمجتمع.

ويتحدد الإصلاح الثقافي في ثلاثة اتجاهات:

الأول: هو الاتجاه الذي يعطي الإصلاح الثقافي أولوية متعاظمة، بحيث تتقدّم وتتفوق على مختلف مجالات الإصلاح الأخرى. وبحسب هذه الرؤية علاقة الإصلاح الثقافي بالمجالات الأخرى، إما أن يكون مدخلاً ومقدمة لتلك المجالات والأبعاد الاجتماعية والتربوية والسياسية، وإما أنه - أي الإصلاح الثقافي - يمثل جوهر وعمق الإصلاح الشامل، وإما أن يمثل البنية التحتية للإصلاح العام.

الثاني: هو الاتجاه الذي يحاول أن يفسّر مشكلة المجتمعات العربية والإسلامية على خلفية ثقافية، ويرى أن مشكلة الأمة في جوهرها هي مشكلة ثقافية، وبالتالي فإن منهج الحل والعلاج هو في الإصلاح الثقافي.

الثالث: هو الاتجاه الذي لا ينكر أهمية وفاعلية الإصلاح الثقافي، لكنه لا يعطيه درجة عالية من الاهتمام بحيث يتقدّم على المجالات الأخرى، ولا يرى أصحاب هذا الاتجاه أن مشكلة الأمة في جوهرها هي مشكلة ثقافية. لذلك فإن الأولوية عند هؤلاء ليست للثقافة، وإنما لمجالات أخرى.

وأقرب الناس إلى منهج الإصلاح الثقافي، أو لمثل هذه القناعات بالإصلاح الثقافي، هم الذين يشتغلون بالثقافة والدراسات

الثقافية، أو الذين ينتمون إلى مؤسسات وجامعات علمية وثقافية، كما أن طبيعة التكوينات الثقافية والعلمية والأكاديمية ساهمت في ترسيخ القناعة بالإصلاح الثقافي عند هذه الشريحة من الناس.

وفي إطار الإصلاح الثقافي تعددت واختلفت القضايا والمسائل التي مثلت محاور واتجاهات الإصلاح الثقافي، ويرجع هذا التعدد والاختلاف في القضايا والمسائل الثقافية، إلى تنوع البيئات، وتغير الأزمنة، وتحوّل الأفكار، وتراكم المعارف.

وأكثر من عرف بالإصلاح الثقافي منذ عصر الإصلاح الإسلامي الحديث،الشيخ محمد عبده في مصر، وتحددت قضيته الفكرية في الإصلاح الثقافي بتحرير الفكر من قيد التقليد، وإصلاح نظم التعليم في الأزهر، وربط التمدن بمرجعية الدين، ومن نصوصه الشهيرة في هذا الشأن، النص الذي نقله عنه تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا، في تاريخه عن الشيخ محمد عبده، وهو قوله: «لقد نشأت كما نشأ كل واحد من الجمهور الأعظم من الطبقة الوسطى من سكان مصر، ودخلت فيما فيه يدخلون، ثم لم ألبث بعد قطعة من الزمن أن سئمت الاستمرار على ما يألفون، واندفعت إلى طلب شيء مما لا يعرفون، فعثرت على ما لم يكونوا يعثرون عليه، وناديت بأحسن ما وجدت، ودعوت إليه، وارتفع صوتي بالدعوة إلى تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه

إلى ينابيعها الأولى، واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه، وتقل من خلطه وخبطه، لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الإنساني، وأنه على هذا الوجه يعد صديقاً للعلم، باعثاً على البحث في أسرار الكون، داعياً ألى احترام الحقائق الثابتة، مطالباً بالتعويل عليها في أدب النفس وإصلاح العمل، كل هذا أعده أمراً واحداً».

ويصنف على هذا الاتجاه أيضاً الدكتور محمد إقبال في الهند، الذي دعا منذ وقت مبكر إلى تجديد التفكير الديني، وعرف بهذه القضية الفكرية، التي شرحها في كتابه الشهير «تجديد التفكير الديني في الإسلام»، الصادر باللغة الإنكليزية عام ١٩٣٤م. وفي هذا الكتاب، حاول إقبال كما يقول، إعادة بناء الفلسفة الدينية الإسلامية بناءاً جديداً، يأخذ بعين الاعتبار المأثور من فلسفة الإسلام، إلى جانب ما جرى على المعرفة الإنسانية من تطور في نواحيها المختلفة.

ومن هؤلاء كذلك، المفكّر الجزائري مالك بن نبي، الذي عظّم من دور الأفكار، ولفت الانتباه إلى قيمتها وفاعليتها، وربطها بقضايا النهضة والحضارة، وشرح ذلك في العديد من كتاباته ومؤلفاته، ومنها كتاب «مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي»، وكتاب «شروط النهضة»، وكتاب «مشكلة الثقافة».

كما يصنف على هذا الاتجاه كذلك السيد محمد باقر

الصدر، الذي بذل جهداً معرفياً كبيراً، اتصف بالعمق وقوة البرهان والاستدلال، في بناء منظومة التصور الإسلامي الشامل، في الفلسفة والمنطق والاقتصاد، والسيد محمد تقي المدرسي، الذي دافع في مؤلفاته عن أصالة وصفاء الثقافة الإسلامية، والشيخ مرتضى المطهري، الذي أولى الاهتمام لقضية العلاقة بين الإسلام ومتطلبات العصر. وفي لبنان يبرز اسم الشيخ محمد مهدي شمس الدين، الذي عرف بمؤلفاته التي جمعت بين الفقه والثقافة، والسيد محمد حسين فضل الله، الذي دافع في مؤلفاته عن الإسلام الحركي، والإسلام المنفتح، إلى جانب آخرين بالتأكيد.

وعلى مستوى المؤسسات يأتي عمل واهتمام المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الذي يشتغل على قضية إسلامية المعرفة، والتي تعني حسب رؤية المعهد، إصلاح مناهج الفكر الإسلامي، والتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، إلى جانب مؤسسات أخرى.

وفي هذه المرحلة بالذات، يتأكد الاهتمام من جديد بضرورة الإصلاح الثقافي، وأن العالم العربي ليس بحاجة إلى إصلاحات سياسية فحسب، وإنما هو أيضاً بحاجة إلى إصلاحات ثقافية عميقة.

التعايش الأخوي العربي - الإيراني

• أصبح الإيرانيون والعرب بعد الفتح الإسلامي أمة واحدة وأصبحوا بنعمة الله إخوانا • نظام الولاء وفّر فرصة زوال الفواصل بين القبائل العربية والمسلمين الجدد •الخراسانيون من العرب والإيرانيين تعاونوا للقضاء على الحكم العنصري المتعصّب • الحركات العنصرية قضى عليها الإيرانيون بأنفسهم • مصر تعتبر من أهم مراكز التعايش العربي الإيراني .

كانت إيران قبل الإسلام إمبراطورية تتلخّص حركتها في تحقيق أهداف توسعية تسلطية شأنها شأن كل القوى المتجبّرة الجاهلية، وكان العرب ممن اكتووا بنار هذه الأهداف، نلاحظ ذلك في علاقة كسرى بملوك المناذرة في الحيرة، فما إن ساءت العلاقات بين كسرى برويز والنعمان أبي قابوس حتى قضى كسرى على دولة المناذرة رغم ما أسداه عرب الحيرة من خدمات للبلاط الإيراني الكسروي في فتح مصر وفي صدّ اليونانيين. كما أن الوثائق تذكر نزاع الإيرانيين والعرب حول حصن الضيزن على شاطئ الفرات وتحدثنا الوثائق عن صراع دموي حدث بين الإيرانيين والعرب في عصر سابور الثاني (٣٠٩ -٣٧٩م) إذ أغارت القبائل العربية على أطراف مملكته فانتقم سابور منها وأسكن

أسراها في كرمان وأهواز ومناطق أخرى من أرض إيران ويقال إن سابور هذا كان ينزع أكتاف رؤساء القبائل العربية فسماه العرب ذا الأكتاف.

ولا تذكر الوثائق التاريخية عن تعايش سلمي بين العرب والإيرانيين قبل الإسلام سوى ما حدث في اليمن، إذ دخلها الإيرانيون ليخلّصوا اليمنيين من الأحباش، فاستوطنوا فيها وتعايشوا مع أهل اليمن، وربما يعود هذا التعايش السلمي إلى بُعد اليمن عن السيطرة الكسروية المباشرة.

أما بعد الفتح الإسلامي فقد أصبح العرب والإيرانيون أمة واحدة وأصبحوا بنعمة الله إخوانا، وسجل التاريخ صفحات رائعة من التآخي العربي الإيراني، هي بحق من أروع صفحات عطاء الدين في إنقاذ الشعوب من النزاعات الدموية ومن الروح التسلطية المتفرعنة، ويحتاج استعراض هذه الصور الرائعة إلى دراسة مستقلة فأكتفي بذكر بعض اللقطات منها:

هاجرت القبائل العربية إلى شرق العالم الإسلامي فتوطّنت مع الإيرانيين في العراق وإيران وكانت الهجرة كثيفة بشكل خاص إلى خراسان الكبرى. وكانت اللغة السائدة في العراق العربية ومعها الفارسية، والسائدة في إيران الفارسية ومعها العربية. وعلى أثر التزاوج والتعايش نشأ أبناء العرب في إيران على اللغة الفارسية، ولم يمض جيلان حتى تعذر التمييز بين العرب

والإيرانيين في اللغة والملبس والعادات والتقاليد.

وهناك من يحاول أن يتخذ من قضية الموالي والتعامل العربي معهم موضوعات للطعن في التعايش الأخوي بين الإيرانيين والعرب. والواقع إن نظام الولاء وفّر فرصة زوال الفواصل بين القبائل العربية والمسلمين الجدد، حيث أصبح الموالي جزءاً من هذه القبائل يتمتعون بكل ما توفره القبيلة لأبنائها من حماية سياسية واقتصادية واجتماعية. ثم إن الحديث عن الموالي على أنهم فئة اجتماعية واحدة فيه الكثير من المجازفة والتبسيط المخلّ كما يقول الدكتور الدوري. لأنّ الموالي لم يكونوا فئة واحدة، فمنهم الكتّاب والوزراء، ثم منهم الفقهاء والعلماء ولهؤلاء منزلة عالية، ومنهم التجار، وأثرهم كبير في الحياة الاجتماعية، كما أن منهم الصناع والفلاحين، وكان ينظر إلى هذه الفئة الأخيرة نظرة متواضعة.

والواقع أن التاريخ احتفظ لنا بصور من الإهانات التي نزلت بالموالي وخاصة في العصر الأموي حتى أن الجزية فُرضت على المسلمين منهم في فترة من فترات الحكم الأموي، ولكن هذا لم يخلّ بالتعايش السلمي بين الإيرانيين والعرب فكلاهما كان متبرّماً بظلم الأمويين وساخطاً عليهم، كما أن العرب دافعوا عن الإيرانيين تجاه ما أنزله بهم بعض الولاة العرب المتعصبين من ظلم وتمييز عنصري، ثم إن الخراسانيين عرباً وإيرانيين تعاونوا في

القضاء على الحكم الأموي واستئصال شأفته.

جدير بالذكر أن القوميين المتعصّبين من العرب والإيرانيين يحاولون أن يركزوا على بعض الحركات القومية الإيرانية التي شهدها التاريخ مثل حركة "به آفرين" و"سنباد" و"بابك الخرمي" و"مازيار" ليثبتوا تفوّق العنصر القومي لدى الإيرانيين على الروح الدينية. ولكن كل الوثائق التاريخية تشهد خلاف ذلك، ففي كل أمة شواذ، ولا أدلّ على شذوذ هؤلاء من انزوائهم عن الأمة وتحوّلهم إلى لصوص وقطّاع طرق ومجرمين، حتى تم القضاء عليهم بيد القادة الإيرانيين أنفسهم من أمثال أبي مسلم والأفشين.

ولا بأس من الإشارة إلى أن مصر تعتبر واحدة من أهم مناطق التعايش العربي ـ الإيراني، فالإيرانيون بعد الإسلام شاركوا في فتح مصر من اليمن، ثم كانوا يشكلون نسبة كبيرة من الجيش الذي تعقّب مروان آخر الخلفاء الأمويين إلى هذا البلد، وعند القضاء على الأمويين سكن كثير من الإيرانيين في مصر، وتعايشوا مع المصريين حتى أن أهل مصر كانوا يرجعون في عصر إلى الفقيه الإيراني الليث بن سعد.

وثيقة هامّة

• مدرسة آل البيت ليست طائفية، بل تبتعد عن كل ما يفرّق صفوف المسلمين • إدريس العلوي: أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه • ادريس: فعسى أن تكونوا معاشر إخواننا من البربر اليد الحاصدة للظلم والجور، وأنصار الكتاب والسنة.

حين تتّجه إلى مدينة "فاس" من "الرباط"، يستوقفك قبل الوصول إليها ضريح في بقعة جميلة مزدانة بالأشجار اسمها "زرهون"، إنّه ضريح إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب.

جاء إدريس إلى المغرب يدعو المغاربة للانضام إلى ثورة أخيه محمد المسمّى "النفس الزكية" في المدينة أيّام خلافة المنصور العبّاسي (١٤٥هـ)، فأجابه خلق من الناس.

والمُهم في هذا الداعية العلويّ، نداؤه الذي وجّهه إلى المغاربة يدعوهم فيه إلى إقامة الإسلام كما جاء به رسول الله، بعيداً عن تحريف الحكّام الأمويين والعباسيين. ونرى فيه روح التوحيد الخالص، والإسلام المحمّدي النقيّ.

وهو وثيقة "تقريبيّة" هامة جداً، تعني فيما تعني أن مدرسة آل بيت رسول الله ليست طائفيّة ولا مذهبية، بل تبتعد عن كلّ ما يُفرّق صفوف المسلمين، وتتحدّث بلغة القرآن والسنّة لا غير.

ولأهميّة هذه الوثيقة التي نشرها أوّل مرة المرحوم الأستاذ المجاهد "علاّل الفاسيّ" ننقلها بنصّها:

الوثيقة التاريخيّة الهامة

"بسم الله الرحمن الرحيم. الحمدُ لله الذي جعل النصر لمن أطاعه، وعاقبة السوء لمن عَنَد عنه، ولا إله إلا الله المتفرّد بالوحدانيّة، الدال على ذلك بما أظهر من عجيب حكمته، ولطف تدبيره، الذي لا يدرك إلاّ أعلامه.

وصلى الله على محمد عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، أحبّه واصطفاه، واختاره وارتضاه، صلوات الله عليه وعلى آله الطيبيّن.

أمّا بعد، فأنّي:

١ - أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيه(ص).

٢ - وإلى العدل في الرعيّة والقسم بالسّويّة، ورفع المظالم والأخذ بيد المظلوم.

٣ - وإحياء السنّة وإماتة البدعة، ونفاذ حكم الكتاب على القريب والبعيد.

٤ - اذكروا الله في ملوك غيّروا، وللأيمان خفروا، وعهود الله وميثاقه نَقَضوا، ولبني بيته قتلوا.

٥ - وأذكركم الله في أرامل احتُقرت، وحدود عُطّلت، وفي دماء بغير حقّ سُفكت.

٦ - فقد نبذوا الكتاب والإسلام، فلم يبقَ من الإسلام إلا اسمه،

ولا من القرآن إلا رسمه.

٧ - واعلموا عباد الله أن مما أوجب الله على أهل طاعته، المجاهرة لأهل عداوته ومعصيته، باليد وباللسان.

أ) فباللسان الدعاء إلى الله بالموعظة الحسنة، والنصيحة، والحضّ على طاعة الله، والتوبة عن الذنوب بعد الإنابة والإقلاع، والنزوع عما يكرهه الله، والتواصي بالحقّ والصّدق، والصبر والرحمة والرفق، والتناهي عن معاصي الله كلّها، والتعليم والتقديم لمن استجاب لله ورسوله، حتّى تنفذ بصائرهم وتكمل، وتجتمع كلمتهم وتنتظم.

ب) فإذا اجتمع منهم من يكون للفاسد دافعاً، وللظالمين مقاوماً، وعلى البغي والعدوان قاهراً، أظهروا دعوتهم، وندبوا العباد إلى طاعة ربّهم، ودافعوا أهل الجور على ارتكاب ما حرّم الله عليهم، وحالوا بين أهل المعاصي وبين العمل بها، فإنّ في معصية الله تلفاً لمن ركبها، وإهلاكاً لمن عمل بها.

ج) ولا يؤنسنّكم من علوّ الحقّ واضطهاده، قلّة أنصاره، فان في ما بدا من وحدة النبي(ص)، والأنبياء الداعين إلى الله قبله، وتكثيره إيّاهم بعد القلّة، وإعزازهم بعد الذلّة، دليلا بيّنا، وبرهاناً واضحاً. قال الله عزوجل: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾. وقال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾. فنصر الله نبيه وكثّر جنده وأظهر حزبه، وأنجز وعده، جزاءاً من

الله سبحانه، وثواباً لفضله وصبره، وإيثاره طاعة ربه، ورأفته بعباده، ورحمته وحسن قيامه بالعدل والقسط، في تربية ومجاهدة أعدائهم، وزهده فيما زهده فيهم، ورغبته فيما يريده الله، ومواساته أصحابه، وسعة أخلاقه كما أدّبه الله، وأمر العباد باتباعه، وسلوك سليم (كذا). والاقتداء لهدايته، واقتفاء أثره، فإذا فعلوا ذلك أنجز لهم ما وعدهم، كما قال عزوجل: ﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾.

وكما مدحهم وأثنى عليهم كما يقول: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾ وقال عزّ وجل: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾.

د) وفرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأضافه إلى الإيمان والإقرار لمعرفته، وأمر بالجهاد عليه، والدعاء إليه، قال تعالى: ﴿ قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾.

وفرض قتال المعاندين على الحقّ، والمعتدين عليه، وعلى من آمن به، وصدّق بكتابه، حتّى يعود إليه ويفيء، كما فرض قتال من كفر به وصدّ عنه، حتّى يؤمن به، ويعترف بشرائعه. قال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن

بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

هـ) فهذا عهد الله إليكم، وميثاقه عليكم بالتعاون على البرّ والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، فرضاً من الله واجباً، وحكما لازماً، فأين عن الله تذهبون وأنّى تؤفكون؟

و) وقد خانت جبابرة في الآفاق شرقاً وغرباً، وأظهروا الفساد، وامتلأت الأرض ظلماً وجوراً، فليس للنّاس ملجأ، ولا لهم عند أعدائهم حسن رجاء.

فعسى أن تكونوا معاشر إخواننا من البربر، اليد الحاصدة للظلم والجور، وأنصار الكتاب والسنّة، القائمين بحقّ المظلومين، من ذريّة النبيّين، فكونوا عند الله بمنزلة من جاهد مع المرسلين، ونصر الله مع النبيّين.

٨ - واعلموا معاشر البربر أنّي أتيتكم، وأنا المظلوم الملهوف الطريد الشريد، الخائف الموتور الذي كثر واتره، وقلّ ناصره، وقُتل إخوته، وأبوه وجدّه، وأهلوه، فأجيبوا داعي الله، فقد دعاكم إلى الله، فإنّ الله عزوجل يقول: ﴿ وَمَن لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَولِيَاء أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾.

أعاذنا الله وإياكم من الضلال، وهدانا وإيّاكم إلى سبيل الرشاد.

٩ - وأنا إدريس بن عبدالله، بن الحسن، بن الحسن، بن علي بن أبي طالب، عمّ رسول الله(ص)، ورسول الله وعليّ بن أبي طالب جدّاي، وحمزة سيد الشهداء وجعفر الطيّار في الجنة عمّاي، وخديجة الصديقة وفاطمة بنت أسد الشفيقة جدّتاي، وفاطمة بنت رسول الله(ص) وفاطمة بنت الحسين سيّد ذراري النّبيّين أمّاي، والحسن والحسين ابنا رسول الله(ص) أبواي، ومحمّد وإبراهيم أبناء عبدالله المهديّ والزكيّ أخواي.

١٠ - هذه دعوتي العادلة غير الجائرة، فمن أجابني فله ما لي، وعليه ما عليّ، ومن أبى فحظّه أخطأ، وسيرى ذلك عالم الغيب والشهادة أنّي لم أسفك له دماً، ولا استحللت محرماً، ولا مالاً، واستشهدك يا أكبر الشاهدين، واستشهد جبريل وميكائيل أنّي أول من أجاب وأناب.

فلبّيك، اللهم لبّيك، مزجي السحاب، وهازم الأحزاب، مصيّر الجبال سراباً، بعد أن كانت صمّاً صلاباً.. أسألك النصر لولد نبيك، إنّك على كلّ شيء قدير، والسلام. وصلّى الله على محمد وآله وسلّم".

مجالس دمشق

«إن يكن للمصادفات شأن في حياة الكتب، فهذا الكتاب ابن المصادفة» (مالك بن نبي: مجالس دمشق، دار الفكر، دمشق – ٢٠٠٦ مراجعة وتدقيق الوزير اللبناني السابق عمر مسقاوي).

بهذه الكلمات البسيطة قدم مالك بن نبي (١٩٠٥ – ١٩٧٣) لكتابه «مجالس دمشق»، وهو الأخير في سلسلة مشكلات الحضارة التي بدأها بباريس ثم تتابعت حلقاتها في مصر فالجزائر.

زار مالك بن نبي دمشق عام ١٩٧٢، كما يظهر من مقدمة الكتاب. وذلك بعد الحج وبعد رحلة الى السعودية استغرقت شهراً ونصفاً. وعندما وصل الى بيروت في طريق العودة الى الجزائر، وهو بصحبة كل من زوجته وابنته «رحمة» صغرى بناته، راودته نفسه أن يطلع «رحمة» على بعض معالم الحضارة الإسلامية بدمشق، فقرر السفر إليها ليقضي فيها يومين أو ثلاثة. وإذا به يقضي في مجالسها زهاء ثلاثة أشهر، قضاها في حوار مستمر مع شباب دمشق المسلم، الذين سارعوا الى تسجيل مجالسه على مسجلاتهم. ثم كانوا ينقلونها كتابة ثم يبيضونها، «حتى صيروها هذا الكتاب» كما يقول بن نبي نفسه، والذي أرّخ للمقدمة التي وضعها لهذه المجالس في بيروت ١٩٧٢/٨/١٣.

الإسلام الأسود

عن دار الطليعة في بيروت صدر كتاب «الإسلام الأسود» لمؤلفه محمد شقرون. والكتاب بصفحاته الـ٢٧٠ موزع على مقدمة وأربعة فصول. ففي الفصل الأول الذي يحمل العنوان: «في التسمية وحدود المجال الإسلامي الأسود»، يشير المؤلف إلى أن دراسته تهتم بالإسلام جنوب الصحراء الكبرى أو ما يطلق عليه في بعض الدراسات الإسلام الأسود.

أما الفصل الثاني الذي يحمل «انتشار الإسلام جنوب الصحراء تعدد المسالك وتكون المجال» فقد أشار فيه إلى أن دخول الإسلام منطقة جنوب الصحراء لم يكن فاتحاً مثلما دخل شمالها، فلم تتبعه حركة نزوح للقبائل العربية تسمح بتعريب المنطقة مثلما حدث في مصر وفي شمال أفريقيا، ولم تقم فيها دولة لأسرة عربية تشجع نشر لغاتها وثقافتها بين السكان المحليين.

وفي الفصل الثالث الذي يدور حول خصائص جنوب الصحراء الكبرى.

فيشير إلى أن السمة المميزة للإسلام جنوب الصحراء الكبرى شرقاً وغرباً هي التصوف وانتشار الطرق الصوفية، إذ لا يوجد مسلم في افريقيا جنوب الصحراء الكبرى من دون ان يكون تابعاً لشيخ ومنخرطاً في طريقة وخادماً لمشروع اجتماعي وثقافي وفي

بعض الأحيان سياسي..

اما في الفصل الرابع الذي حمل عنوان «حاضر الإسلام جنوب الصحراء الكبرى» فيتوقف محمد شقرون عند ظاهرة توقف حركات الجهاد طيلة فترة الاستعمار الغربي، ولكن ذلك لا يعني توقف انتشار الإسلام في المنطقة، وان كان الاستعمار قد نجح في القضاء على الدور السياسي للإسلام بقضائه على المماليك.

وينتهي محمد شقرون بفصل يحمل عنوان «الإسلام جنوب الصحراء الكبرى وحوار الأديان». يتطرق المؤلف في هذا الفصل إلى عودة الاهتمام بالأديان والثقافات للدور الذي تلعبه من تهدئة الصراعات وإذكاء آثارها.

المستشرقون الألمان: النشوء والتأثير والمصائر

يرصد الدكتور رضوان السيد، في كتابه «المستشرقون الألمان – النشوء والتأثير والمصائر» (الدار الإسلامي، ٢٠٠٧)، البدايات المبكرة للاستشراق الألماني، ويدوّن جهود وأعمال أبرز رموزه، وتأثيراته في الدراسات العربية والإسلامية في القرن العشرين، ولا ينسى الخوض حول مصائر الاستشراق بشكل عام، حيث يرى بأن الاستشراق مضى وانقضى، وأننا في صدد مخاض يوشك أن تتشكل بدائله لغير صالحنا، إذا لم يشهد حقل الدراسات العربية والإسلامية إسهامات عربية واسلامية جدية وكثيفة في العقد

الحالي واللاحق. وشكّل الاستشراق الألماني، بحسب «فرتزشتبات»، نافذة جيدة على الشرق، تمّ التعرف من خلالها، وطوال قرن ونصف القرن، بالعرب والإسلام، وحضارتهما، بطرائق موضوعية وودودة في أكثر الأحيان.

ويخلص رضوان السيد إلى أن الاستشراق بالمعنى المتعارف عليه انتهى، لتستمر التطورات والتطويرات التغييرية كما في سائر مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث تغيرت المضامين، ومعها تغيرت الأطر والقوالب.

تحرير المجلة

عندما تصدّت الحكومة العثمانية عام ١٨٦٩ ميلادية لوضع كتاب فقهي جامع سهل المنال، يُختار فيه صحيح الأقوال، ويُعتمد عليه كأساس لتطبيق الأحكام الشرعية في المحاكم المدنية، أناطت هذه المهمة إلى عدد من الفقهاء والمفكّرين آنذاك، فأثمرت جهودهم عن تأليف كتاب تحت عنوان: «المجلة» والذي اشتهر فيما بعد بـ «مجلة الأحكام العدلية» الكتاب الذي يمثّل تقنين أحكام الشريعة الإسلامية على شكل مواد قانونية.

وبعد أن أقرّت الدولة ذلك عام ١٨٧٦، جرى تطبيقه في جميع المحاكم المدنية في البلدان التابعة للحكم العثماني كافة، كما اعتُمد تدريسه في معاهد الحقوق فيما بعد. ولما كان المذهب

الحنفي هو المذهب المعتمد الرسمي في الدولة آنذاك فقد غلب عليه طابع المذهب، لذا اهتم الكثير من علماء المذاهب الإسلامية لشرح غوامضه والتعليق عليه حتى بلغت الأربعة عشر شرحاً، إلا أنّهم كان يعوزهم الاطلاع الواسع على فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فانبرى إلى شرحه عَلَم من الأعلام الذي جمع إلى جانب الفقه حسن الدراية في القضايا الاجتماعية والتجربة الميدانية وهو الإمام محمد حسين كاشف الغطاء (رضوان الله تعالى عليه) والذي يعدّ واحداً من أبرز فقهاء النجف الأشرف في القرن الأخير، ويكشف الشرح وما قام به المؤلف (رحمه الله) من نقد واستدراك عن الحسّ الصادق، والعقل الراجح، والاطلاع الواسع، والنظر الثاقب في آرائه الفقهية وعن مكانته العلمية.

ولأهمّية هذا الكتاب من ناحية فقه القانون المقارن، اختار المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ـ كعادته ـ إعادة طبعه، وأقرّت الهيئة العلمية لمركز البحوث والدراسات العلمية التابع للمجمع ذلك، على أن يتمّ تحقيق هذا الكتاب تحقيقاً يتناسب مع أهميته، فاختارت الشيخ محمد الساعدي لهذه المهمة على أن يتمّ العمل تحت إشراف رئيس الهيئة العلمية سماحة آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي فتمّ بحمد الله إنجاز ذلك على أحسن ما يرام.

حول الدستور الإسلامي

كتاب من تأليف آية الله الشيخ محمد علي التسخيري ومن منشورات المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية طهران ٢٠٠٥م .

يستعرض المؤلف ملامح التوازن في الدستور الإسلامي ويلخصها بما يلي:

أولاً: التوازن بين السلطة الدينية والاختيار الشعبي.

ثانياً: التوازن بين السلطات: انفصالاً واتصالاً.

ثالثاً: التوازن في الإشراف المتبادل بين مجموع الجهاز الحاكم.

رابعاً: التوازن بين الأصالة والمعاصرة.

خامساً: التوازن بين ضمان الحقوق الفردية وتأمين الحقوق الاجتماعية.

سادساً: التوازن بين المصلحة الوطنية والمصلحة الإسلامية العليا.

ثامناً: التوازن بين الانتماء الإسلامي وحقوق المواطنة

ثم يقف عند مواد الدستور مادة مادة ليلقي الضوء عليها من منطلق القرآن والسنة والفكر الفقهي والأصولي ومتطلبات الواقع الراهن.

مجلة رسالة التقريب العدد ٦٠

صدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية العدد ٦٠ من مجلة «رسالة التقريب» وهي مجلة متخصصة محكمة تصدر كل شهرين مرة تعنى بالتقريب بين المذاهب ووحدة الإمة الإسلامية.

وهذا العدد يضم بين دفتيه مقالات الأساتذة العلماء ، محمد علي التسخيري، محمد مهدي الآصفي، خالد الغفوري، عائشة يوسف المناعي، محمد حبش، تاج الدين الهلالي، محمد الدسوقي، حسين علي محفوظ، عبد الصبور شاهين، أسعد السحمراني، علي جمعة.

يجب أن تكون الموازين الإسلامية أساس جميع القوانين والقرارات المدنية والجزائية والمالية والاقتصادية والإدارية والثقافية والعسكرية والسياسية وغيرها. هذا الأصل نافذ على جميع أصول الدستور والقوانين والقرارات الأخرى إطلاقاً وعموماً. ويتولى الفقهاء في مجلس صيانة الدستور، تشخيص ذلك.

دستور الجمهورية الإسلامية فى إيران

من هنا وهناك

دعوة إلى العلماء

دعا السيد محمود محمدي عراقي رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية علماء المسلمين للنهوض بمسؤولياتهم وأخذ زمام المبادرة في قيادة الأمة وهذا نص دعوته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آلة وصحبة ومن والاه .

السادة العلماء

الأساتذة الأفاضل

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

لقد أعددتُ ورقةً لهذا الملتقى الكريم حول التحديات الحضارية، غير أن الأحداث التي تعصف بالعالم الإسلامي اليوم تضغط على قلبي وعقلي ولا تدعني أدخلَ في حديث علمي أكاديمي. بل تدفَعني إلى مخاطبةٍ للوجدان ومناشدةٍ للضمير وطلبٍ من كلّ من يهمّه مصير أمته ، والتماس من جميع من يستطيع أن يكون له دورٌ في إطفاء هذا اللهيب الذي يسعر من شرق آسيا الى غرب أفريقيا وكلّه كما يظهر منتظم في سلسلة عقد واحد ، وجميعه أجزاء لحطّة واحدة ، هي القضاء على أمّة

الإسلام ، واستئصال ما فيها من مظاهر حياة ومقاومة ونهوض وتوجّه مستقبلي .

إننا أمام قضية كبرى تحتاج إلى موقف فقهي حاسِم. وأقول موقفٍ فقهي لأن الفقة مشروعُ حركةٍ متكاملة للحياة ، وهذه الحياة الإسلامية المفعمة اليوم بأنواع التحديات تحتاج الى موقف فقهي جادّ عمليّ للمحافظة على وجودنا وهويتنا. عالمنا الإسلامي اليوم يواجة هجوماً شرساً يتّخذ طابع الغزو الثقافي والعسكري والعلمي والسياسي والاقتصادي ...

وبعبارة واحدة يستهدف القضاء على كل مظاهر الحياة في أمتنا الإسلامية .

والمأساة الكبرى في هذا الهجوم هو أنه لا يواجه المقاومة المناسبة.

بل يواجه في كثير من الأحيان الاستسلام والتراجع وفي أحيان أخرى يواجه ردود فعل طائشة تضّر ولا تخدم هي خليطٌ من مواقف غاضبة ومواقف مصطنعة مدبّرة من العدوّ نفسه .

لقد مرّت علينا قبل أشهر موجة عارمة من التفرقة الطائفية البغيضة أُريد فيها للعالم الإسلامي أن يعود الى حروب الجمل وصفين والنهروان .

وتمرّ علينا اليوم صور مآسي الاقتتال الفلسطيني – الفلسطيني ، وسفك الدم العراقي وقصف الآمنين في أفغانستان وتدبير الانفجارات في مناطق مختلفة من أروبا ، ومنح أكبر وسام لسلمان رشدي في بريطانيا ، وتهديد الجمهورية الإسلامية باسم

الملف النووي ، وتهديد سوريا باسم مساعدة المقاومة في لبنان ، والتلويح بالقضاء على المقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين... وعشرات من هذه المظاهر التي تستحق كل واحدة منها أن يهبّ علماء الإسلام لقيادة الأمّة ، وملء الشوارع ليل نهار بالمسيرات الصاخبة والاحتجاجات اللاهبة .

ولا يظنّ القادة السياسيون في العالم الإسلامي أنّ ذلك سيشكّل خطراً على حكوماتهم ، بالعكس فإن الانتفاض الشعبي سيساعد الحكام – كما قال السيد القائد الخامنئي – لتخفيف ما يواجهونه من ضغوط أجنبية ، وسيجلسون حول طاولة المفاوضات مع القوى العالمية من موقع أقوى .

إن العلماء إذا قادوا الأمة لمواجهة هذا التحدّي الخطير فإنهم سوف يَقُونَ المسيرة من الانحراف ومن ردود الفعل غير المحسوبة وغير المفيدة . وإنهم بذلك سوف يوجّهون نقمةَ الجماهير توجيهاً صحيحاً بعيداً عن مظاهر العنف الطائش والإرهاب الأعمى . وإنهم سيُثْبتون لأعداء الأمة أن في المسلمين حياةً وعزةً وكرامةً تأبى عليهم الخضوع لعملية الإذلال . إنهم بهذا سيؤهّلون العالم لجوٍّ من الحوار والتعاون والسلام .

وهذا هو هدف الإسلام .. هدفنا هو سيادة منطق التعاون والحوار والسلام على الساحة العالمية . ولكن هذا لا يحدث أبداً إذا لم يعترف بنا الغرب وأمريكا . ولا يمكن أن يحدث هذا الاعتراف إذا

لم نعترف نحن بهويتنا وقدرتنا وعزّتنا وكرامتنا . وهذا رَهينٌ بقيادة العلماء الواعين.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

والسلام عليكم

مصر دائماً لها ثواب التقريب

في حوار أدلى به آية الله الشيخ محمد علي التسخيري لـ«اسلام اون لاين. نت» على هامش زيارته الأخيرة للقاهرة قال: القاهرة هي صاحبة الباع الطويل في التقريب على يد عظماء الازهر، وان إعادة الروح إلى دار التقريب بين المذاهب في القاهرة برآسة الشيخ محمد عاشور خبر أسعد قلوبنا جميعاً، لأنه يعني تحريك مشروع التقريب في كل مناطق العالم الإسلامي.

وحول مسألة نشر إيران للمذهب الشيعي قال الشيخ التسخيري هذه مسألة لا أساس لها من الصحة بل هي مجرّد شائعات فقط، للمسألة. كل إنسان بوسعه أن يعبّر عن رأيه وفكره فقط، أما التبشير المنظّم فلا.

يُذكر أن قضية نشر التشيّع على يد إيران أثيرت أخيراً ضمن موجه الطائفية التي أُريد بها تطويق الصوت المعادي للإرهاب العالمي الأمريكي والصهيوني، وفي مؤتمر التقريب الذي عقد بالدوحة قبل أشهر أجاب أحد الحاضرين على هذا الادعاء قائلاً:

لو أن إيران أرادت نشر التشيع لنشرته بين أهل السنّة في ربوعها، بينما هي تساعد على تعميق وترسيخ الروح الدينية وفق الرؤية السنيّة بين أهل السنة في إيران، لأن همّها ديني رساليّ لا مذهبي.

وأجاب آخر أيضاً: نحن نشك كثيراً في دور مخابرات البلدان ودوائر الاستخبارات العالمية في القيام بعمليات استفزازية لهذا المذهب أو ذاك باسم التبشير المذهبي وذكر أدلة ملموسة على ذلك.

المشروع الإحيائي في فكر مرتضى مطهّري
أطروحة دكتوراه

في جامعة الزيتونة بتونس/ المعهد الأعلى لأصول الدين يجري العمل على إعداد رسالة دكتوراه تحت عنوان: «المشروع الإحيائي في فكر مرتضى مطهّري». بإشراف الأستاذ الدكتور محمد البشير البوزيدي. يعدّ الرسالة الطالب: علي اكبر سيبويه، ويهتمّ بعرض أفكار الشهيد مطهّري الحضارية وما يرتبط بمحاور مدرسته في الإحياء.

يذكر أن الشهيد مرتضى مطهّري جنّد نفسه طول حياته لأن يقدّم المشروع الفكري للإحياء، لا على الصعيد النظري فحسب، بل أيضاً كان من العاملين المحوريين في الثورة الإسلامية بإيران.

حول الإسلام السياسي

في مقابلة أجراها الدكتور حجة الله جودكي المستشار الثقافي الإيراني السابق بالقاهرة مع «اسلام اون لاين. نت» قال: إن التسميات والتصنيفات الموجودة الآن والتي تحمل أسماء مثل: الإسلام السياسي، والإسلام المعتدل، والإسلام الشيعي والإسلام السني، والإسلام الأصولي، والإسلام الجهادي.. وغيرها هي تسميات وتصنيفات من وضع غير المسلمين، وغالباً من أعداء المسلمين الذين يكرهون الإسلام وأهله.

وأضاف: خلال القرن الأخير ونتيجة للتطورات الخارجية والداخلية ظهرت يقظة بين المسلمين سُمّيت بالصحوة الإسلامية، واتجهت إلى عقلانية الفكر الديني، وكادت أن تحقّق نجاحات باهرة في تقديم المشروع الإسلامي بلغة العصر ووفق متطلبات العصر، لكن الاستبداد الداخلي شعر بخطر من هذه الصحوة فتحالف مع قوى الهيمنة العالمية لوأد الصحوة ومسخها.

وقال: إن «المتطرفين» الجهلة ـ على الرغم من عدائهم الظاهري للغرب ـ صاروا بأنفسهم سبباً لتشويه صورة المسلمين وتهيئة المناخ لقمع المسلمين على يد الغرب وأعوانه في داخل الدول الإسلامية.

تكريم الشاعر عبدالعزيز البابطين في تونس

أقام اتحاد الكتاب التونسيين في تونس العاصمة حفل تكريم

للشاعر الكويتي عبدالعزيز سعود البابطين تقديراً لما تبذله مؤسسته من جهود لإحياء الشعر العربي القديم والحديث والمحافظة عليه.

كما تمّ بهذه المناسبة أيضاً تكريم نخبة من رموز الشعر التونسي الحديث، وكذلك أعضاء اتحاد الكتاب التونسيين الحائزين على جوائز أدبية خلال هذا العام.

الدولة الفارسية!!

يردد بعض «العروبيين» هذه الأيام في حديثهم عن إيران الإسلام عبارات: الاطماع الفارسية، والدولة الفارسية، والمصالح الفارسية و..!!

وهذه النغمة تصاعدت مع انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وتبلورت في حرب ظالمة شُنت على الجمهورية الإسلامية باسم الحرب على «الفرس المجوس»!!

لقد كان مشروع الشاه في الحكم يقوم على أساس قومي، وكان التيار الإسلامي هو التيار الوحيد المعارض للتوجه القومي للشاه.. والحديث في هذا المجال طويل..

وبعد انتصار الإسلام في إيران أُزيلت من إيران كل المظاهر التي تتنافى مع الانتماء الإسلامي لإيران، والتأكيد على ذلك جاء في الدستور الإيراني، وانعكس في كل شيء في إيران، حتى علامة الأسد والشمس الحمراء العالمية الخاصة بإيران التي كانت إلى

جانب الصليب الأحمر والهلال الأحمر، ألغيت ووضع مكانها «الهلال الأحمر»!

وكان جزاء إيران تجاه هذه العودة إلى العرب والقضايا العربية ودائرة الحضارة الإسلامية أن تُواجه بمثل هذا السؤال التي يطرحه صحفي عربي على سماحة الشيخ التسخيري إذ يقول الصحفي:

ما الذي يمكن أن يقوم به علماء الشيعة من خلال رسالة التقريب لمواجهة من يرى أن هناك دعوة لإعادة وجود دولة فارسية في العالم الإسلامي ينتهي معها الوجود السني؟!!!

هذه كارثة.. تعبّر عن هشاشة بعض فئات العالم الإسلامي تجاه ما يُدبّر لهم من مكائد!

ويجيب الشيخ التسخيري في هذا الحوار المنشور على اسلام اون لاين. نت : «أنا لا أعلم أي طائفة شيعية حتى ولو كانت صغيرة تدعو إلى وجود دولة فارسية أبداً، وأنا أعيش في كل المنطقة».

ويبقى الحديث في هذا المجال ذو شجون نرجو أن نعود إليه على صفحات «ثقافة التقريب».

حول تكريم سلمان رشدي!!

سوف يبقى الاستكبار العالمي ينكأ جراح العالم الإسلامي ليعرف ما فيه من بقية حياة.

ظاهر القضية أن بريطانيا عادت في هذه الظروف المرّة الصعبة لتفتح صفحة جديدة في ملف سلمان رشدي ولتعطيه أعلى وسام

تمنحه ملكة بريطانيا.

وواقع هذه القضية منذ «الآيات الشيطانية» هو استغلال فترات خاصة يظنّ المستكبرون فيها أنهم استطاعوا أن يشلّوا جسد العالم الإسلامي ويقضوا على روح العزّة والكرامة أو بعبارة أخرى على «روح الحياة» فيه، استغلال هذه الفترات لينكأوا جراح الأمة عن طريق إهانة جديدة لمشاعرها، كي يعرفوا ما فيها من بقية حياة؛ إذ «ليس لجرح بميّت إيلام». لكنّهم في المرّة الأولى واجهوا حياة طافحة نبضت شراييها وتدفقت دماؤها في كل بلدان المسلمين وخارجها. ثم هاهم يعودون في ظلّ الظروف المرّة الجديدة (ظروف محاربة المقاومة باسم الارهاب، وظروف محاربة التقدم العلمي باسم مكافحة التسلح النووي، وظروف تطويق الصحوة بمعول الطائفية و...) يعودون ليتحسّسوا روح الحياة في العالم الاسلامي. ونعتقد أنهم واهمون لأن جسد الأمة الإسلامية مافتئ ينبض بالحياة في ظروف الغزو المغولي والصليبي والغربي والأمريكي، فما بالك به اليوم وهو يشهد عملية إحياء كبرى لاستئناف مسيرته الحضارية، ومظاهر هذه العملية مشهودة في تجلّيات شتّى، وسوف يعلمون.

تكريم عبدالعزيز البابطين في مدينة قم

بدعوة من عدة مؤسسات علمية وثقافية زار الشاعر الكويتي عبدالعزيز سعود البابطين رئيس مجلس أمناء مؤسسة جائزة

عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري يرافقه الامين العام للمؤسسة الأستاذ عبدالعزيز السريع، زار مدينة قم في برنامج حافل:

ـ زار فيه مكتبة آية الله المرعشى النجفي الكبرى واطلع فيها على كنوز المخطوطات والخدمات التي تقدّمها المكتبة.

ـ شارك في ندوة أقيمت برعايته تحت عنوان «إيران والشعر العربي» بمشاركة جامعة طهران وجامعة قم.

ـ التقى المسؤولين في مؤسسة أهل البيت للتراث خلال أمسية أدبية شعرية وثقافية.

ـ رعى احتفالية تخرّج الدفعة الأولى من دورة «مهارات اللغة العربية» بمدينة قم.

ـ شارك في جلسه حوار خاصة أقيمت بمناسبة زيارته بمركز البحوث الإسلامية لدراسة سبل تفعيل العلاقات العلمية بين إيران والعرب.

وتم تكريم الشاعر عبدالعزيز البابطين على الصعيد الجامعي وعلى صعيد الحوزة العلمية.

فقه النوازل وتجديد الفتوى

أقيمت في مسقط قبل أسابيع قليلة، ندوة علمية تحت عنوان: «فقه النوازل وتجديد الفتوى».

وشددت الندوة على الضرورة الملحة لتوجيه الاستدلال الفقهي

لاستيعاب المستجدات المعاصرة في وقتنا الراهن نتيجة التطور المتزايد، داعية إلى تجديد الفتوى مع رعاية أصول وقواعد التشريع. كما أوضحت ان القضايا المعضلة التي يتعرض لها المسلمون في بلاد الغرب تحتاج ان يكون المفتي فيها جامعاً بين الفقه في الدين في أعلى مستوياته وبين فهم الواقع وإدراك ملابساته . ومن الأهمية بمكان أن تكون الفتاوى هناك صادرة عن مؤسسات وهيئات لها وزنها، وليس عن أفراد تتناقض مقولاتهم وتختلف الجاليات بسببهم. وشددت الندوة على أن التجديد في الخطاب الإسلامي ضرورة دينية قبل أن يكون حاجة حياتية، لأنه الأداة التي تعكس ما يمتاز به التشريع الإسلامي من عموم وشمول واستمرارية.

وفي مساهمته التي جاءت تحت عنوان «الفتاوى الفقهية بين الأدلة والقواعد» شدد الشيخ أحمد مبلغي رئيس معهد الفقه والحقوق في قم، على أن كل ندوة أو مؤتمر لابد أن يضم داخل إطاره مكونات العناصر التالية:

أولاً: لابد أن نركز في كل مطالعة فقهية، أو محاولة عملية، أو كل ندوة نقيمها، على فقه النوازل.

ثانياً: التركيز على الفتوى، لأن الفتوى تمثل المرحلة الأخيرة للاجتهاد.

ثالثاً: التركيز على المنهجية، وهذا العنصر أجده عنصراً قويماً وأصيلاً، وقد تم تبنيه في هذه الندوة.

افتتاح المقر الجديد لرابطة الأدب الإسلامي

افتتح وزير الثقافة الأردني الدكتور عادل الطويسي المقر الجديد لرابطة الأدب الإسلامي في منطقة عرجان بالأردن بحضور عدد كبيرة من الأدباء والمثقفين والمبدعين الأردنيين.

وقدم رئيس المكتب الإقليمي للرابطة الدكتور عودة أبو عودة في كلمة له نبذة عن الرابطة التي تأسست عام ١٩٨٤م بالهند لتعمل على الاهتمام بالأدب الإسلامي والتعريف به في المحافل الدولية وتشجيع التواصل بين الأدباء في العالم الإسلامي، وتحقيق مبدأ عالمية الأدب الإسلامي، ونشر أدب الشعوب الإسلامية.

المركز العالمي للوسطية

شهدت دولة الكويت تأسيس «المركز العالمي للوسطية»، وقد عُين الدكتور عصام البشير أميناً عاماً له، وتجدر الإشارة إلى أن المركز ما زال يستكمل هيكليته، وهو يعمل على استدعاء الكفاءات من مختلف بلدان العالم الإسلامي، ويتوقع أن يتجاوز عدد الباحثين والمشاركين في هذا المركز المائة. ويضم المركز دائرة تتصل بالتأصيل الشرعي لتأصيل القضايا، وقد تم لحد الآن

حصر أكثر من ١٥٠ قضية يسعى المركز أن يصوب فيها النظر

وفق معادلة الأصل والعصر، وهنالك دائرة التدريب والتأهيل والترجمة والنشر والبحوث، ودائرة نشر الثقافة للانتقال من ثقافة النخبة إلى ثقافة الأمة، ومشروع علماء المستقبل وإعداد الدعاة، ثم برنامج التواصل مع الأقليات المسلمة التي تشكل حضوراً ضمن النسيج الغربي في أوروبا وفي أميركا، وهؤلاء أيضا لهم قضاياهم ولهم همومهم في تلك الساحة.

من القضايا الهامة المعاصرة مسألة الاختلافات الطائفية بين المسلمين. هذه طبعاً ليست بمسألة جديدة، فقد كانت الاختلافات والنزاعات وأحياناً الصراعات قائمة حول المسائل الكلامية والفقهية والمذهبية منذ القرن الإسلامي الأول. لكنّ الحديث الجديد هنا هو أنه بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران وانتشار فكرها في أرجاء الآفاق الإسلامية توسل الاستكبار ـ فيما توسل به من دسائس لمواجهة هذا الموج الهادر ـ بتصوير الثورة الإسلامية في إيران بأنها حركة شيعية بالمعنى الطائفي للكلمة وليست إسلامية بالمعنى العام.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى سعي بجد لإثارة النفاق والاختلاف بين الشيعة والسنة.

هموم مشتركة

رغم كل الحواجز والسدود السياسية والنفسية والطائفية والعنصرية التي يراد لها أن تقام بين أجزاء أمتنا الإسلامية، لكننا نرى أن وحدة الدائرة الحضارية في هذه الأمة تقاوم التحديات، وتعرب عن آمالها المشتركة وآلامها المشتركة بصور شتّى، ومن ذلك المؤتمرات وما تسفر عنه من قرارات وتوصيات من أندنوسيا حتى المغرب الاقصى، وهذه جولة في المؤتمرات التي أقيمت خلال الأشهر الأخيرة:

قلق إسلامي في مؤتمر جاركارتا

عُقد في جاكارتا المؤتمر الدولي الثاني للعلماء والمثقفين الإسلاميين يحمل قلق الأمة تجاه قضاياها مما يدلّ على وحدة كل العالم الإسلامي في الآلام والآمال نقتطف منه ما يلي باعتباره نموذجاً للوحدة الحضارية بين المسلمين:

«تصميماً على تحقيق الأهداف الخاصة بتعزيز الإسلام كرحمة للعالمين، وبإسهام المسلمين في دعم السلام والرخاء والعدل والمساواة لكل البشر.

وإشعاراً بالتعاليم الإسلامية التي تدعو الأمة جميعها إلى

الالتزام بالسلام والعدالة؛ بالحرية والتوسط؛ بالتسامح والتوازن، كما تدعوهم إلى إلتزام الشورى والمساواة كقواعد أساسية في حياتهم.

واعترافاً بعملية العولمة الراهنة، وفي قلبها عالمنا المتزايد في اعتماد أجزائه المختلفة بعضها على البعض الآخر، وبما تفرضه مثل تلك التطورات من آثار على المسلمين فرادى وجماعات.

ووعياً بالوجود المستمر لنظام «عدم العدالة» الدولي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، تلك الظروف التي كان من شأنها إعاقة كثير من البلدان الإسلامية عن تحقيق التنمية المستدامة.

وتعبيرا عن القلق بشأن انتشار الصراعات في أنحاء شتى من عالمنا اليوم، بما في ذلك العراق وفلسطين، الأمر الذي أسفر عن خسائر في صفوف المدنيين المسلمين.

وتأكيدا على أنه ينبغي على كل مسلم أن يتعاطف مع هؤلاء المسلمين وأن يتخذ خطوات عملية للتخفيف من معاناتهم.

وأملا بأن يحل السلام قريبا في تلك الأقاليم المتضررة.

وأخذا بعين الاعتبار الهوة الشاسعة التي تفصل بين المثاليات الإسلامية من جهة وبين الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للأمة الإسلامية من جهة أخرى.

وتشديداً على الحاجة الماسة إلى تناغم جهود الدول الإسلامية لتحقيق أهداف الألفية التنموية التي تعتبر أساسية للحد من ظاهرة الفقر.

واعترافاً بالحقوق المتساوية لكافة الدول في تدشين البحوث والإنتاج والاستخدام الخاص بالطاقة النووية للأغراض السلمية.

وتعبيراً عن القلق من الحقيقة المتمثلة في أن الكثير من مسلمي اليوم، وفي انحاء شتى من العالم، يعانون من الظلم والمهانة التي تنتهك كرامتهم دافعة إياهم للعيش في فقر مدقع.

وتعبيراً عن القلق من انتشار الأوبئة في بعض البلدان الإسلامية، بما فيها مرض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز) والملاريا وإنفلونزا الطيور، وتأثير هذا على حالتهم الصحية والاقتصادية خاصة في المجتمعات المحلية.

وتأكيداً على الدور الحيوي المنوط بالمرأة في دعم انتشار السلام، والتنمية الاقتصادية وحل النزاعات.

وتأكيدا على أن حقوق الاقليات المسلمة في ممارساتها لشعائر دينها لابد وأن تضمن في البلاد التي يعيشون فيها، وتشديدا على أهمية التعاون في المجالات الاقتصادية من استثمار وتجارة وتمويل وتنمية، وعلى الحاجة لتدعيم التعاون المشترك سعياً إلى رفع مستوى رفاهية الأمة كهدف نهائي.

وإشعاراً بالدور المتنامي للأقليات الإسلامية في المجتمعات ذات التنوع الديني، والحاجة للتعامل مع التحديات التي تعترض مسيرة الحوار بين الاقليات المسلمة والأغلبيات غير المسلمة.

وإشادة بمنظمة نهضة العلماء الإندونيسية، وبإندونيسيا حكومة وشعباً، نظرا لما قاموا به من استضافة المؤتمر، ونظرا

للتسهيلات التي قدموها، والنية الصادقة التي أبدوها من اجل ضمان إنجاح أعمال هذا المؤتمر.

بعد تنفيذ مجموعات العمل المنبثقة عن المؤتمر لمهامها، وبعد المداولات والمناقشات فيما بينها قرر مايلي»:

هذا النص يبين بوضوح مشاركة اندونيسيا التي هي في أقصى شرق العالم الإسلامي مع كل أرجاء أمتنا حتى طنجة في أقصى غربه في الآلام والآمال والتطلعات. ومما جاء فيه من قرارات:

- دعوة المسلمين كافة للمشاركة في الجهود من أجل حماية ودعم المصالح المشتركة للأمة في خضم عملية العولمة المستمرة.
- تشجيع حكومات الدول الإسلامية للعمل على دعم التواصل الشعبي بحيث لا ينحصر بين علماء المسلمين فقط، ولكن يمتد ليشمل المسلمين كافة بما فيهم الشباب والنساء والأكبر سناً.
- تشجيع التعاون بين الحكومات المسلمة وغير المسلمة من أجل مضاعفة التواصل والعمل على حث الحوار حول القضايا التي تؤثر على المسلمين ومنها قضايا تشويه صورة الإسلام والإرهاب من الإسلام (إسلاموفوبيا).
- حث المسلمين الذين يعيشون في بيئات غير مسلمة على القيام بنشر الأفكار الصحيحة عن الإسلام كدين التوسط والتسامح بغرض تحصين العوام من التطرف وضيق الأفق الناتج

عن الضغوط التي تفرضها عليهم المجتمعات غير المسلمة التي تسودها صور سلبية عن المسلمين.

- المناداة بكل جدية أن يتم بذل الجهود الخلاقة من أجل تقريب الهوة بين المدارس الفكرية الإسلامية المختلفة، من أجل حفظ وتعزيز وحدة الامة المباركة، وعملا على حمايتها من أن تصبح هدفا سهلا للتشرذم إلى أحزاب وفرق شتى.
- اقتراح تفعيل دور الدول الإسلامية الأعضاء في منظمة الامم المتحدة، وذلك من خلال تناغم دور هذه الدول سوياً نحو العمل على إصلاح الامم المتحدة وأجهزتها الرئيسة، بما فيها مجلس الأمن الدولي، كل هذا من أجل تحسين كفاءة وفعالية المنظمة الدولية في مهامها المتعلقة بتنفيذ ما فوضه إليها ميثاق تأسيسها.
- تشجيع حكومات الأقطار المسلمة والمنظمات غير الحكومية على الانتفاع بتطبيق القيم والمبادئ الإسلامية بناء شبكات تتخذ شكل اتحادات للتعاون المشترك.
- التشجيع بكل قوة للمسلمين كافة على العمل في سبيل إعادة تدعيم أخوَّتهم الإسلامية، على أن يتم ترجمة ذلك إلى أفعال واقعية على رأسها مساعدة إخوانهم الذين يعانون من كوارث بيئية أو أوبئة أو صراعات مسلحة. تلك الأفعال الواقعية التي يمكن أن تأخذ شكل المساعدات المالية أو المواد، كما تبدو في هذا السياق أهمية الدعم المعنوي والدعاء لهم بظاهر الغيب.

- تشجيع المؤسسات التعليمية على النهوض بجودة التعليم ودعم البرامج المتعلقة بتبادل الطلاب والكوادر التعليمية والمطبوعات والبحوث وتطوير المناهج.
- التشديد على أن هذه اللحظة التاريخية هي فرصة أيضاً لتأكيد عزمنا على التصدي للتحديات المستقبلية، وتصميمنا على دعم السلام والعدل والوسطية والرخاء لكل البشر، وذلك من خلال تطبيق الالتزامات المقررة في هذه الوثيقة. إن المؤتمرين ليعتبرون أن هذا التصميم هو جزء من الطموحات الإنسانية العالمية نحو عالم أفضل، حيث يجد البشر طريقهم لتحقيق سعادتهم المادية والروحية معاً.

مؤتمر تقريب الدوحة
دعوة إلى الوقوف بوجه التحديات

إنعقد مؤتمر الدوحة لحوار المذاهب الإسلامية (دور التقريب في الوحدة العملية للأمة) الذي نظمته جامعة قطر بالتعاون مع جامعة الأزهر والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، واستضافته دولة قطر في الفترة من ١ -٣ محرم ١٤٢٨ هجرية الموافق ٢٠ -٢٢ يناير ٢٠٠٧م، وشارك فيه أكثر من مائتي عالم من أكثر من أربعين دولة.

وقد ناقش المؤتمرون على مدى ثلاثة أيام من خلال ثماني جلسات في جوّ من الصراحة والشفافية، أهمية الحوار لوحدة

الأمــة، ودور التقريــب فيهــا، والعقبــات الــتي تقــف في طريقهــا، وكيفية التغلب عليها من خلال الحلول العملية في ظل الظروف الدقيقة الراهنة التي تمر بها الأمة الإسلامية، وبخاصة الوضع الراهن في العراق الشقيق وخرج المؤتمر بقرارات أهمّها:

- إدانة ما يحدث في العراق من حرب طائفية بين السنة والشيعة مما يؤدي إلى تفتيت العراق، وصرف الانتباه عن العدو الحقيقي المتربص بالأمة.
- التأكيد على حرمة دم المسلم وماله وعرضه واستنكار الجرائم المرتكبة على الهوية المذهبية.
- الوقوف صفاً واحداً أمام التحديات والعدوان الذي تتعرض له الأمة.
- ضرورة إستمرار الجهود لتحقيق التقارب والتفاهم بين مختلف المذاهب والفرق الإسلامية والعمل على إزالة العقبات التي تعترض طريق الوحدة.
- يرفض جميع العلماء المشاركين ممثلي السنة والشيعة والزيدية والإباضية رفضاً قاطعاً كل تطاول أو إساءة إلى آل بيت رسول الله(ص) وصحابته رضوان الله عليهم جمعياً وأمهات المؤمنين، ويناشدون أتباع المذاهب والفرق الإسلامية احترام مقدسات كل طرف والحفاظ على الاحترام المتبادل في الحوار والنشاط الدعوي.
- دعوة القيادات والمراجع الدينية السنية والشيعية إلى

الحفاظ على حدود وضوابط التعامل مع الآخر وعدم السماح بالتبشير لمذهب التشيع في بلاد السنة أو للتسنن في بلاد الشيعة درءاً للفتنة والشقاق بين أبناء الامة الواحدة.

- يناشد المؤتمر حكام ورؤساء الدول العربية والإسلامية، تعزيز جهود العلماء والمفكرين في سبيل تحقيق الوحدة وإقرار سياسة الحوار بين المذاهب الإسلامية.
- إصلاح المناهج التعليمية بما يدعم فكرة الوحدة والتقريب بين المذاهب والفرق الإسلامية.

تطلعات المسلمين في اسطنبول

- عقد مؤتمر التقريب في الفكر والتوحيد في العمل الدولي من قبل جمعية الجعفرية في اسطنبول، خلال فترة ٢٥ و ٢٦ ربيع الأول ١٤٢٨ الموافق ١٤ و١٥ ابريل ٢٠٠٧ في اسطنبول وقد تدارس المؤتمر خلال سبع جلسات موضوع المؤتمر بمشاركة نخبة من العلماء ومفكري تركيا والعالم الإسلامي وخرج المؤتمرون بتوصيات منها:

- يؤمن المشاركون بأن اتباع المذاهب الإسلامية المعروفة يشكلون الأمة الإسلامية الواحدة مسؤوليتهم مشتركة وتحرم دماؤهم واعراضهم ونفوسهم.
- يدعو المشاركون الى الوحدة والتضامن في المواقف العملية والتقريب بين الأفكار باكتشاف المساحات المشتركة

والتعاون في تطبيقها. وبعد ذلك يعذر بعضهم بعضاً فيما يختلفون فيه.

- يدعو المشاركون جميع العلماء في العالم للقيام بواجبهم بالتوعية الجماعية وثقافة الوحدة والتقريب والتأكيد على المشتركات وهي تشكل مساحةً كبيرة في تعاليم الإسلام والابتعاد عن التكفير والتبديع والتفسيق ونقل الخلاف من الفكر الى العمل.

- يوصي المشاركون بإعادة النظر في الخطاب الديني والإعلامي وتصحيح وتجنب الخطابات والعبارات والكلمات التي تثير الفتن وتفرق بين المسلمين على مختلف مذاهبهم وتوجهاتهم.

- يدين المشاركون كل العمليات الإرهابية في العراق التي تستهدف الأبرياء ولا يرون للصراع في العراق أي صفة مذهبية.

- يحيي المشاركون كل عمليات المقاومة في لبنان وفلسطين والعراق ويسألون الله أن ينقذ الأمة من براثن الإحتلال الأجنبي الغاشم.

- يدعو المشاركون كل الدول الإسلامية للاهتمام بالتقدم العلمي والتقني خصوصاً في مجال الاستفادة من الطاقة النووية للأغراض السلمية ويدين أي ممانعة خارجية من هذا التقدم العلمي.

- يوصي المؤتمرون انشاء قناة فضائية تعنى بشؤون الوحدة

وإشاعة ثقافة التقريب والحوار والتعايش بين أبناء الأمة الإسلامية.

تأكيد التعددية المذهبية في عمان

- بمبادرة من الحكومة الاردنية تمت دعوة العشرات من العلماء من شتى المذاهب الإسلامية لدراسة قضية التعدد في المذاهب الإسلامية والتقريب بينها. وخرج المؤتمر بقرارات أهمها:
- إن كل من يتبع أحد المذاهب الأربعة من أهل السنة والجماعة (الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي) والمذهب الجعفري، والمذهب الزيدي، والمذهب الاباضي، والمذهب الظاهري، فهو مسلم ولايجوز تكفيره. و يحرم دمه وعرضه وماله. وأيضا، ووفقاً لما جاء في فتوى فضيلة شيخ الازهر، لايجوز تكفير أصحاب العقيدة الأشعرية، ومن يمارس التصوف الحقيقي، وكذلك لا يجوز تكفير أصحاب الفكر السلفي الصحيح.
- كما لا يجوز تكفير أي فئة أخرى من المسلمين تؤمن بالله سبحانه وتعالى وبرسوله (ص) وأركان الإيمان، وتحترم أركان الإسلام، ولا تنكر معلوماً من الدين بالضرورة.
- إن ما يجمع بين المذاهب أكثر بكثير مما بينها من الاختلاف. فأصحاب المذاهب الثمانية متفقون على المبادئ الأساسية للإسلام. فكلهم يؤمنون بالله سبحانه وتعالى، واحداً

أحداً، وبأن القرآن الكريم كلام الله المنزل، وبسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام نبياً ورسولاً للبشرية كافة. وكلّهم متفقون على أركان الإسلام الخمسة: الشهادتين، والصلاة، والزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وعلى أركان الإيمان: الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره. واختلاف العلماء من أتباع المذاهب هو اختلاف في الفروع وليس في الأصول، وهو رحمة. وقديما قيل إن اختلاف العلماء في الرأي أمر جيد.

- إن الاعتراف بالمذاهب في الإسلام يعني الالتزام بمنهجية معينة في الفتاوى: فلا يجوز لأحد أن يتصدّى للإفتاء دون مؤهلات شخصية معينة يحددها كل مذهب، ولايجوز الافتاء دون التقيد بمنهجية المذاهب، ولايجوز لأحد أن يدّعي الاجتهاد ويستحدث مذهباً جديداً أو يقدّم فتاوى مرفوضة تخرج المسلمين عن قواعد الشريعة وثوابتها وما استقر من مذاهبها.
- إننا ندعو إلى نبذ الخلاف بين المسلمين وإلى توحيد كلمتهم، ومواقفهم، وإلى التاكيد على احترام بعضهم لبعض، وإلى تعزيز التضامن بين شعوبهم ودولهم، وإلى تقوية روابط الأخوة التي تجمعهم على التحاب في الله وألا يتركوا مجالا للفتنة وللتدخل بينهم.

هموم وتطلعات إسلامية في أفريقيا
بمؤتمر الخرطوم

بمبادرة من جامعة إفريقيا العالمية ودعم من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في ليبيا ووزارة الإرشاد والأوقاف السودانية، ورعاية من رئاسة الجمهورية، عقد في قاعة الصداقة بالخرطوم مؤتمر الإسلام في إفريقيا في يومي ٦و٧ ذي القعدة ١٤٢٧هـ . الموافق ٢٦و٢٧ نوفمبر ٢٠٠٦م بهدف جمع الخبرات العلمية الإفريقية وذات الاهتمام بالشأن الإفريقي في مؤتمر جامع تناقش فيه قضايا الإسلام ماضياً وحاضراً ومستقبلاً مع تقديم الحلول والتوصيات اللا زمة، وكذلك لفتح سبل التعاون بين العلماء والباحثين في قضايا الإسلام بالقارة ومما جاء في توصيات المؤتمر:

• يعتبر المؤتمر إطلالة مرور ١٤ قرناً هجرياً على دخول الإسلام في إفريقيا مناسبة قومية لكل التجمعات الإسلامية في إفريقيا، ويدعو المؤتمر هذه التجمعات لإحياء هذه المناسبة بالشكل الذي يتناسب مع قدراتها وإمكاناتها وظروفها وأن تبشر كل مجموعة حضرت هذا اللقاء بهذه الفكرة، وأن تسعى لإبرازها.

• الاهتمام بدراسة التاريخ والحضارة الإسلامية في إفريقيا وإدخالها في المناهج العامة والمناهج الجامعية واعتبار أوراق المؤتمر نواة لهذا العمل.

• الدعوة إلى إنشاء منظمة إفريقية للتربية والعلوم والثقافة على غرار اليونسكو يكون من بين مهامها العناية بالبحوث

والدراسات والنشر في مجالات العلوم البحتة والعلوم الطبية والصحية والعلوم الإنسانية والاجتماعية.

• تبادل الزيارات بين أساتذة الجامعات الإفريقية وتشجيع البحوث المشتركة.

بيان صادر من علماء الشيعة والسنة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة الفتنة الطائفية وأبعادها

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه ... وبعد

فاننا مجموعة من علماء أهل السنة والشيعة في الجمهورية الإسلامية الايرانية وقد وفقنا الله تعالى لحج بيت الله الحرام؛ وهو مهوى أفئدة الموحدين ومحور وحدة الأمة الإسلامية، وقد بلغنا أن مجموعات ممن ينتسبون إلى أهل العلم من الطرفين قامت بحركات غير إسلامية، وراحت تثير الفتنة والبغضاء بين المسلمين، وتتنابز بالألقاب وتتهم المسلمين بالتهم الباطلة وتؤلب البعض على البعض الآخر، وتكرر المقولات القديمة التي تجاوزتها الأمة ودعا علماؤها الى الوحدة والتقريب، ومن هنا فإننا نؤكد مايلي:

اولاً – إن اتباع المذاهب الإسلامية المعروفة يشكلون بمجموعهم الأمة الإسلامية الواحدة وتتكافأ نفوسهم وتتآلف قلوبهم ويتعاونون لتحقيق الأهداف الإسلامية السامية...

ثانياً – إن إثارة أية فتنة طائفية او غيرها يخدم أعداء الأمة ويحقق خططهم الماكرة ضدها ويكرس احتلالهم البغيض لأرضها.

ثالثاً – إن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تعمل على تطبيق الإسلام في إيران وتعمل على تحقيق الوحدة الإسلامية في العالم الإسلامي وتمد يد العون والإسناد للشعب العراقي في محنته، فهي تستحق الشكر والثناء من قبل كل المخلصين، لاتوجيه التهم الباطلة خدمة للاستكبار العالمي وعملائه.

والله تعالى نسأل أن يوفقنا لقبول أعمالنا والعمل سوية على تحقيق العزة والكرامة والوحدة لأمتنا المجيدة.

تواقيع ١٠٠ عالم

من أهل السنّة والشيعة

تذكير بتوصيات مؤتمر مكة بمناسبة تكريم سلمان رشدي!!

اختُتمَتْ أعمال مؤتمر مكة المكرمة السابع، الذي عقدته رابطة العالم الاسلامي بعنوان (نصرة نبي الأمة (ص) بإصدار قرارات وتوصيات منها:

• يستنكر المؤتمر الإساءة إلى النبي(ص) بأي صورة، ومن أية جهة، وفي أي بلد، ويطالب المسلمين بنشر الصورة الصحيحة عن الإسلام ونبيه محمد(ص) وأثره العظيم في بناء الحضارة

الإسلامية.

• يشيد المؤتمر بالوقفة الشجاعة للأمة المسلمة دفاعاً عن النبي(ص) ويوصيها بالاستمرار والثبات، مع توسيع دائرة النصرة عبر الوسائل السلمية المناسبة التي يقرها علماء الأمة وقادتها.

• ينبّه المؤتمر إلى خطورة ردود الأفعال غير المنضبطة، ويوصي المسلمين بالابتعاد عما يسيء إلى صورة الإسلام الحضارية.

ثانياً: نصرة نبي الأمة في مجال الثقافة والإعلام:

• يدعو المؤتمر المنظمات الإسلامية ووسائل الثقافة والإعلام إلى القيام بواجبها في نصرة نبي الأمة عليه السلام، وتحمل المسؤوليات في هذا الجانب بكل الأساليب الممكنة.

• يطالب المؤتمر بما يلي:

• التعاون مع الهيئة العليا للتنسيق بين المنظمات الإسلامية من أجل التنسيق بين الجهات المعنية فيما يخص نصرة الرسول(ص) والدفاع عن الدين.

• تنشيط الاتصال بين المنظمات الإسلامية والجهات السياسية والدينية والأكاديمية والثقافية في العالم.

• يوجه المؤتمر الشكر لرابطة العالم الاسلامي لإنشائها البرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة ويطالبها بتطويره إلى هيئة عالمية للتعريف بالنبي عليه الصلاة والسلام.

• يدعو المؤتمر المسلمين المقيمين في الدول غير الإسلامية إلى بذل المزيد من الجهد المنظم في تعريف المجتمعات التي يعيشون

فيها بنبي الرحمة.

خامساً: نصرة نبي الأمة في المجال الاقتصادي:

• يحث المؤتمر رابطة العالم الاسلامي على إنشاء صندوق إسلامي عالمي للتعريف بالنبي (ص) ونصرته ومواجهة حملات الإساءة إليه.

• يناشد المؤتمر الدول الإسلامية بتحقيق قدر مناسب من التكامل الاقتصادي فيما بينها.

• يطالب المؤتمر رجال المال والأعمال والغرف التجارية في العالم الإسهام في تمويل البرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة.

• يدعو المؤتمر المؤسسات الاقتصادية للتنسيق مع الغرف التجارية والصناعية والإسلامية في تأمين منح دراسية لابناء الجاليات الإسلامية، القاطنين في الدول الغربية.

هموم حضارية في مؤتمر الرباط

في اطار الاحتفاء بفاس عاصمة الثقافة الإسلامية لسنة ٢٠٠٧ عقدت الندوة الدولية حول تفعيل مقومات الهوية الثقافية الإسلامية في الفهم والتفاهم بين الشعوب والحضارات في الرباط بتاريخ ٢٦ -٢٨ فبراير ٢٠٠٧، ومما جاء في قراراته:

• تفعيل الأسس والمبادئ الإسلامية الداعية إلى المراجعة الدائمة للذات، عبر توظيف الاجتهاد وتجديد الخطاب والفكر الإسلاميين المعاصرين، وقراءة التراث قراءة فاحصة، وتقييم الحصيلة التاريخية لثقافة الأمة وهويتها، واستيعاب متغيرات

العصر، وصولاً إلى الانسجام المطلوب لمكونات الأمة، ومن ثم، إلى فهم الآخر والتفاهم والتعايش معه، والحوار المتكافئ مع الثقافات الأخرى، والإسهام الفاعل في البناء الحضاري الإنساني.

• دعوة الأمة الإسلامية مؤسسات رسمية وأهلية ونخباً إلى تسارع خطى الإصلاح الجوهري المعبر عن ضميرها، والمنبثق عن ثوابتها، وترجمته إلى برامج ومشاريع عملية، تعزيزاً لمسيرة الإقلاع الحضاري، بدلاً من الاستجابة لضغوط الإصلاح الوافدة، والتي تحمل في طياتها الكثير من مهدّدات الهويّة الثقافية، والمسلمات الدينية والثوابت الوطنية والمحدّدات الحضارية.

• الأخذ بأسباب التقدم العلمي والاقتصادي والإداري ومواجهة نزعات الانكفاء على الذات، عن طرق الارتقاء بمؤسساتنا التعليمية والثقافية والاقتصادية والإدارية، بحيث تكون قادرة على التعامل مع مخرجات النظام العالمي المتجدّد والعولمة، وصولاً إلى صياغة مجتمع فاعل ومنتج وآخذ بزمام المبادرة الحضارية.

• تبيان القيم الإنسانية المشتركة الجامعة بين الشعوب والحضارات ونشرها، والدعوة إلى قيام تحالف فعلي بين الشعوب والحضارات، لمواجهة مختلف مظاهر سوء الفهم بينها، وصولاً إلى إرساء قواعد التعايش والتعاون، وتحقيق الأمن والاستقرار في العالم.

• دعوة المؤسسات الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني في العالم الإسلامي إلى إيلاء مزيد من الاهتمام بقيم الاعتزاز بالذات الحضارية والتسامح والحرية والعدل والشورى والديمقراطية

والعمل المنتج، بحسبان هذه القيم من أهمّ مقومات الهويّة الثقافية التي انبثق بتفعليها وبفضلها الإشعاع الحضاري والثقافي للأمة، ونشر هذه القيم عبر الوسائل والمؤسّسات التربوية والعلمية والثقافية والدعوية والفكرية والإعلامية.

• تحقيق الشروط الداخلية لتفعيل مقومّات الهويّة الثقافية الإسلامية، وذلك عبر حشد الإرادة السياسية وتوظيف آليات فضّ النزاعات والتقريب بين المذاهب والفرق والمدارس الإسلامية، والاعتراف بالخصوصيات الثقافية والتنوع الفقهي والمذهبي وحقوق الأقليّات غير المسلمة داخل العالم الإسلامي.

• دعوة الإيسيسكو والمنظمات الإقليمية والدولية إلى دعم الجهود الرسمية وغير الرسمية، الرامية إلى تفعيل مقومات الهوية الثقافية الإسلامية، من خلال إعداد خطط العمل والاستراتيجيات والمشروعات والبرامج والأنشطة الميدانية ذات الصلة.

الوحدة الإسلامية يمكنها أن تساهم في خدمة الإنسانية والتطوّر الحضاري للبشرية جمعاء، في نفس الوقت الذي تحقّق فيه أهدافها على مستوى الأمة الإسلامية.

السيد الشهيد محمد باقر الحكيم